دغدغة

حنان بديع

دغدغة / مقالات

حنان بديع

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ – ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفة

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٧٨١١

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٦٢٩٧-٩٨-٢

دغدغة

مقالات

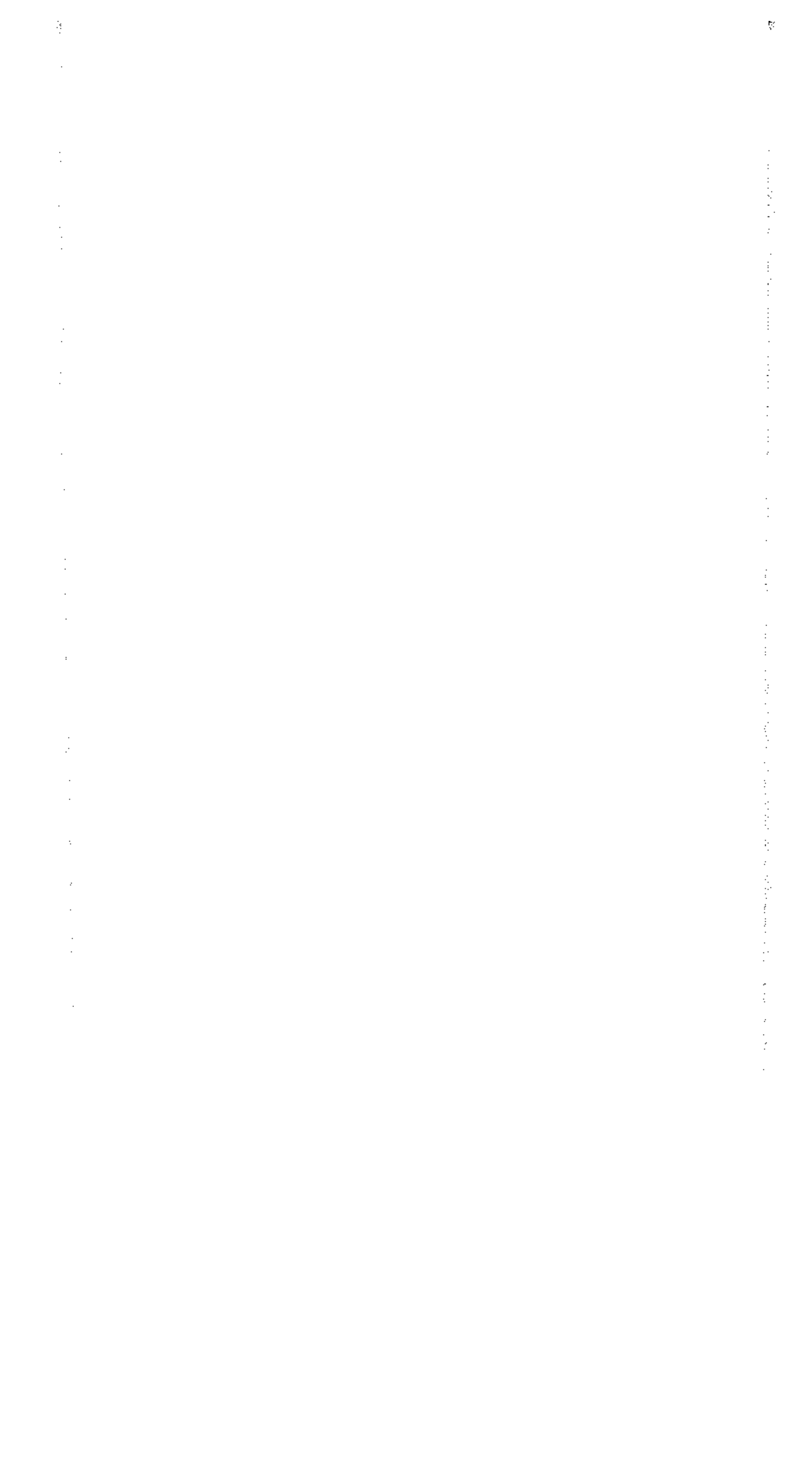
حنان بديع

الطبعة الأولى

٢٠٠٩

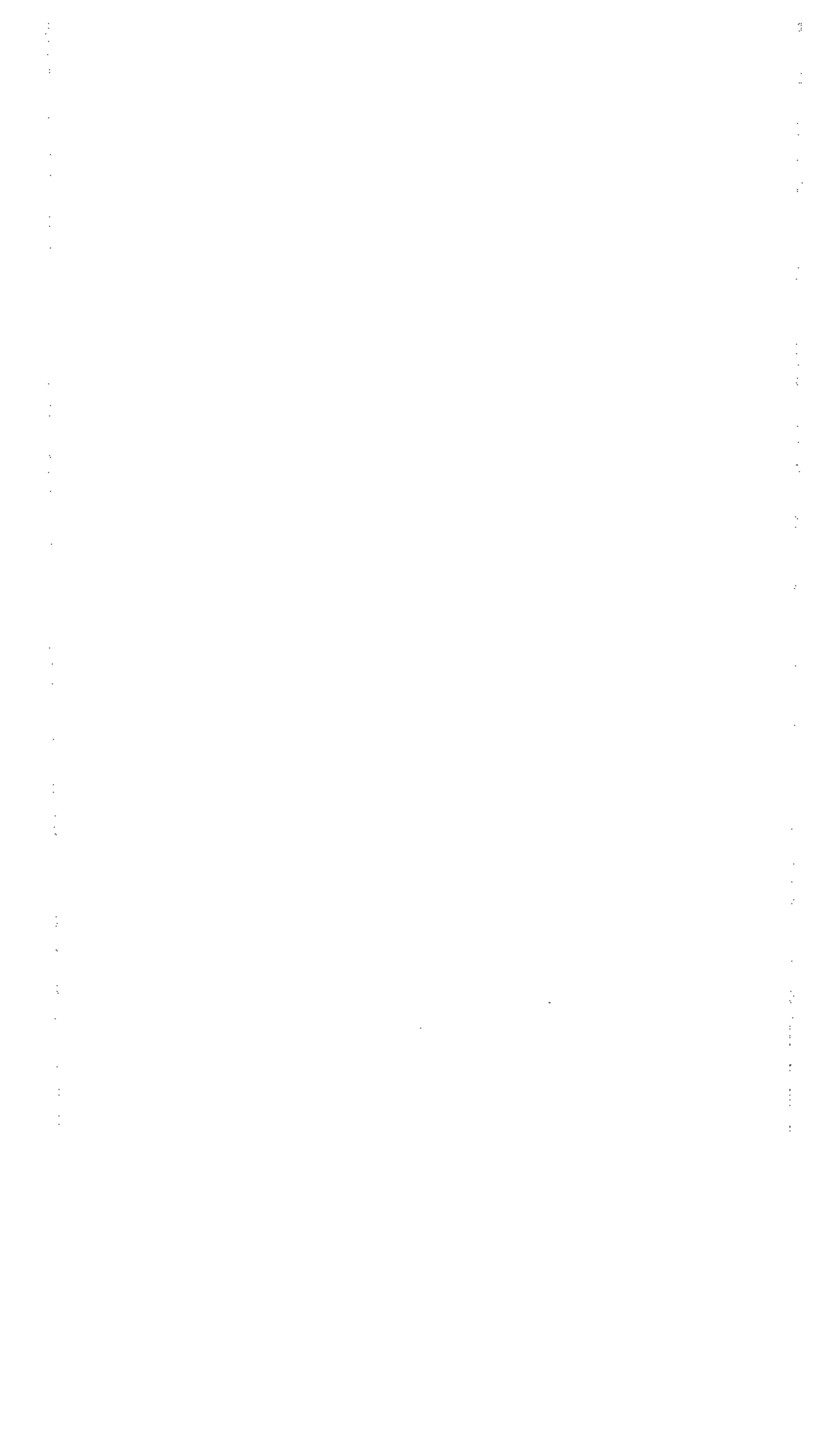


دار اكتب للنشر والتوزيع



عزيزي القارئ لا تحاول دغدغة أفكارك..

اترك هذه المهمة لقلمي .



مقدمة

رغم أن الدغدغة إحدى خواص الجسم البشري التي ما زال يحيط بها الكثير من الغموض فان ميكانيكياتها معروفة إلا أن استمرارها لمدة تزيد عن عدد من الثواني يفقد الإنسان توازنه وتحكمه في جسده ، ربما لهذه استخدمت الدغدغة في الماضي كسلاح للتعذيب وأحيانا للإعدام بإماتة الشخص من شدة الضحك !

ولأن الدغدغة كالضحك تعبر عن نشاط اجتماعي فالإنسان لا يضحك وحيدا ولا يدغدغ نفسه أي أنه عندما يقوم شخص ما بدغدغتك يكون رد فعلك هو الضحك ولكن لماذا لا يحدث ذلك إذا قمت بدغدغة نفسك؟

الإجابة تكمن في المنطقة الخلفية بالمخ والتي تسمى (Cerebellum) وتختص بمراقبة الحركة فالدراسات التي أجريت أثبتت أن هذه المنطقة يمكنها التنبؤ بالإحساس عندما تسببه حركة الجسم نفسه ولكنها غير قادرة على التنبؤ بهذا الإحساس إذا صدر عن مصدر خارجي.

هذا التنبؤ يلغي رد فعل المناطق المخية الأخرى لهذه الحركة.

وإذا كان هذا هو حال الدغدغة الجسدية فما هو حال العقل إذا ما دغدغناه بفكرة ما لم يستطع التنبؤ بها؟

أو فكرة قد تخالف أو تناقض ما احتزنه في اللاوعي وشكل برمجته أو نسيجه الفكري ؟

أفكارنا التقليدية والموروثة تصنع عاداتنا مع الوقت والعادة أفضل خادم لكنها أسوأ سيد، إذ أنها تبقى خادمة طالما هي ترزح تحت سيطرة العقل لكنها عندما تسيطر عليه تتحول إلى سيد مطلق..

وكمن يحلم ببعض المستحيل أتوقع أن تدغدغ كلماتنا عقول القراء لا قاموسهم المبرمج مسبقا وعاداتهم التي تحولت إلى شبه عقائد ومسلمات.

دعوني أحتفي أولا بالعنوان قبل أن أتورط فيه لاحقا..

لا لأدغدغ مشاعركم أو رغبتكم في قراءة ما كتبت فأنا أكيدة أن هذا حتما سيحدث ولكن لأن "دغدغة " القلم مصطلح خطير يمارس فعل الإغواء ربما من بعيد لا ليستفز قهقهات الجسد وتأوهاته بل ليدغدغ خلايا العقل ويتحرش بأفكاره ، يثير شهوته وشوقه للتأمل والاستكشاف..

اكتشاف الوجه الآخر، فلكل حقيقة وجه آخر" خارج ربما عن المألوف" كما لكل وجه ألف حقيقة لا نقتنع إلا بأحدها فلا نتبنى سواها ثم نعلنها وننحاز إليها.

عزيزي القارئ لا تحاول دغدغة أفكارك..

اترك هذه المهمة لقلمي .

حنان بديع

"مطلوب إجازة عاطفية لو سمحتم"

أستطيع أن أراهن وبكل ثقة على أن كل من قرأ خبر اعتماد إحدى شركات اليابان التسويقية نوعا جديدا من الإجازات مدفوعة الأجر تحت مسمى (إجازة عاطفية) قد ضحك ساخرا ليس من كم الدلع والامتيازات لتي يحصل عليها الموظفون في اليابان أو أي بلد آخر بل مما يوحي به نوع الإجازة أو السبب من ترف قد يكون مبررا لدفع شركة ما إلى اعتماد إجازة للتفرغ لمعالجة الفشل العاطفي!

المفارقة طبعا أن هذه النظرة الجدية للعاطفة وكل متعلقاتها من أحزان وأوجاع وهموم وجدانية هي تقليد واختراع ياباني بامتياز ومعروف بأن اليابان بلد العمل المحموم ومجتمع الإنتاج والتهام الوقت قبل احترامه..

أما لماذا ؟ فعلى حد تعبير المدير التنفيذي للشركة فان الإجازة تسمح للموظفين بالتفرغ لمشاعرهم والبكاء بعيدا عن العمل حتى يستطيعوا مواصلة عملهم بجدية واجتهاد، فمعالجة القلب الكسير من وجهة نظره قضية تستحق التفرغ تماما كما هو حال الأمومة والأبوة!

أما حالنا نحن.. فنحن حتما من سيسخر من التفرغ للمشاعر حتى لو ليوم واحد رغم أننا أكثر الشعوب عاطفية

كما يشاع عنا في الوقت الذي نتغنى فيه معظم الوقت بالحب وأغنياته وأشعاره.

نسخر من الحب كثيرا لكننا لا شك تسمرنا أمام شاشات العرض لنصدق قصة حب على سفينة "التايتنك" ونتعاطف معها حتى يتضاءل حجم مصيبة غرقها أمام عاطفتنا الجياشة!

نسخر من آلام الحب وعذاباته في ذات الوقت الذي نبجل فيه أبطاله ويقبل السائحون بالآلف على زيارة شرفة جولييت التي كانت تطل منها لروميو حبيبها ..

يبقى السؤال حاضرا ..هل هي حقيقة الحب تلك التي تصوره ترفا ليس إلا، وهل يستحق أن يبقى في هذه الخانة حتى لا يكون مبررا لإجازة عاطفية حتى لو ليوم واحد !

وهل تستحق عذاباته نظرة أكثر احتراما وتقديرا ؟

وهل بقي هناك مكان لقلوب كسيرة في عصر الانترنت والعواطف الالكترونية؟

ثم هل للقلوب أنواعا مختلفة ومتقلبة ؟

هل هناك قلوب غير قابلة للانكسار ؟

وإذا كانت حقا معظم القلوب تتحطم أمام حبا حقيقيا أو عاطفة قويه حتى لو أصحابها ملوكا وسلاطين ، وهي حقيقة

يؤكدها التاريخ فلماذا إذن لا يؤخذ هذا الذي يسمى حبا مأخذ الجد في ثقافتنا وثقافات الشعوب عموما بل يوصم من ابتلي به بالضعف والغباء أحيانا!

يقول شكسبير :"إن قلب المرأة أضعف الأشياء"

فهل قلب المرأة أكثر قابلية للانكسار ؟

فإذا كان شكسبير محقا استطيع أن افترض بأن الرجل هو من ابتدع هذه الثقافة المتعالية على الحب وأوجاعه.

أليس الرجل صائد الحب والمرأة طريدته؟

ذلك على افتراض أن أفضل الانتصارات هي تغلب المرء على قلبه وهو في الغالب ما يقدم عليه معظم الرجال الشرقيين حين يصولون ويجولون في حلبة الهوى ويعشقون عشرات المرات ثم يتزوجون من لا يعرفونها عن طريق الخاطبة !

إجازة كهذه الإجازة المرهفة لمعالجة تحطم القلوب ستطالب بها النساء أو يتمنينها على أقل تقدير فقلب المرأة كما يقول المثل الانجليزي " هو ثروتها إذ قلما لا يكون دليلا لها" ..

أؤيد هذا الرأي تماما لتبقى المرأة سيدة العواطف وكل الإجازات التي تمت إلى الإنسانية والعاطفة بصله إذ ليس هناك رجلا ذا قلب مفجوع قد يجاهر بآلامه العاطفية سواء احتقارا لمفهوم الحب أم للمرأة الحبيبة .

باستطاعتنا نحن النساء أن نبكي ما شئنا فما كانت ثقافة عار الحب إلا إبداع ذكوري.

ترى إلي أي حد قد أساءنا إلي الحب ومعانيه وقدره وقيمته بل ومكانته حتى أصبح ترتيبه الآخر وهمومه الأكثر سخافة ؟

إلى أي حد أساء المفكرين والفلاسفة إلى هذا المسكين من خلال تكريمه وتحليله؟

فكلمة شكسبير الشهيرة (ما الحب إلا جنون) تكفي لإخراجه من حيز الوقار والاحترام لنتجنب حماقاته بكل فخر .

الحقيقة أن السخف يخيف الحب، لذلك يبقى حبنا الأول ليس على الإطلاق حبنا الأكبر..

والحقيقة الأهم أن نصف الحياة الأفضل يفوت الرجل الذي لا يحب بحرارة وقوة وحماقة.

نعم ..وحدها المطالبة بالإجازة العاطفية كإجازة رسمية مدفوعة الراتب في حالة الانكسار العاطفي ستعيد للحب قدره وقيمته التي فقدها إذ من العيب أن نتشدق بالعواطف ونلهث خلف الحب ونعترف بحاجتنا له ثم نستخف بضرورة الإجازات لمعالجة فشلنا العاطفي.

ألا يستحق حبا قضى نحبه بعض الدموع والعزاء ؟

ألا تستحق ذكرياتنا معه أن نترحم على أيامه وفضائله تماما كما يحدث حين فقدان عزيز توفي إلى رحمة الله ؟

اقتراح موجه لكل المؤسسات والشركات للأخذ بأحد مظاهره الحضارة الإنسانية ولو على الطريقة اليابانية.

عورات العقل

للعقل أيضا عوراته كما له أفكاره وأسراره ونواياه ، وهي عورات أكثر إثارة وشبهه وفضائحية .. أما لماذا ؟

فألانه يخفي الكثير والعظيم والخطير من الأفكار والنوايا التي لم تتجسد في لغة فعل ولم تخرج من عتمة النفس إلى فضاء الواقع بعد.

عندما نحجبها عن الآخرين فإننا نسترها بورقة توت لا تظهر إلا ما يجوز ويتناسب أو يتوافق مع القيم والأخلاقيات ويحفظ لنا صورتنا أو ماء وجهنا.

ولأن الأعمال بالنيات بقيت هذه المساحة من أعمال الإنسان التي تضمرها النفوس في إطار الغيب لا يعلمها إلا الله...ونحن.

إلا أن حال هذه النوايا كحال الأجنة في أرحامها حين بقيت محجوبة عن عالمنا حتى جاء العلم باختراع أجهزة طبية لتكشف نوع الجنين ذكرا كان أم أنثى.

اليوم أيضا جاء دور أدمغتنا وما تحمله أرحام رؤوسنا من نوايا وأفكار حسنة كانت أم خبيثة ؟

والخبر كما هو يقول: أخيرا تمكن علماء أمريكيون وبريطانيون من رصد أفكار الآخرين ومعرفة هواجسهم التي تدور في المخ والتعرف عليها باستخدام أشعة الرنين المغناطيسي!

إذن قد لا ننتظر طويلا حتى نستطيع قرأه أفكار الآخرين والتكهن بالنوايا التي يتم تخزينها قبل تقرير تحويلها إلى أفعال حقيقية.

وإذا ما كانت خاصية الغموض هي الوجه الآخر للحياة فكيف يكون حالنا إذا ما انكشفنا على بعضنا البعض و لم يعد بالإمكان إخفاء أفكارنا الوليدة وتشذيبها وتهذيبها قبل إن يلتقطها الآخرون ويروها عارية كما هي ؟

وهل ستفسد دهشة الشك والاكتشاف ثم الارتطام العنيف بالواقع ؟

أين الفرق ؟

في وقت سابق كان العلم قد توصل إلى ما يسمى توارد الأفكار Telepathy وهي ظاهرة انتقال الأفكار والصور العقلية من دون الاستعانة بأية حاسة من الحواس الخمس بين شخصين على علاقة ببعضهم البعض وبشكل كبير بين أشخاص تربطهم علاقة عاطفية قوية فبقيت هذه الظاهرة

خاصة جدا بل والأهم أنها إرادية، أما أن تنتقل أفكارنا للآخرين أيا كانوا أصدقاء وأحباء وأعداء فهي كارثة حضارية.

هل للجهل حسناته وفضائله ؟

ربما ..

وللغموض جمالياته أيضا.

أسميه غموض، لأنه نوع شرعي من الكذب والتخفي يضمن للحياة أن تستمر..

وإلا ما أعظم بؤسنا وشقاءنا إذا ما قرأنا أفكار الآخرين بجلاء..

وما أكبر ورطتنا الاجتماعية بعد أن كنا نردد "إن بعض الظن إثم " فنحسن الظن.

تكهنات العصر تنبئ بيوم نعجز فيه عن خلق الأعذار..

عندما لا يكون للظن مكان أو مساحة..

ولا للفئران صدور تلعب بها وتعبث بهواجسها.

هل اترك لخيالكم الباقي،،

سأفعل.

للحب ناسه وللزواج ناسه

ربما لأن الحب يجمعنا أحيانا بأكثر النماذج لؤما وبشاعة،

وهو عنيد لا يقبل تفاوض أو مقايضه فلا منطق أو أسباب أو مراهنة..

ولأن الصبر أيضا في المقابل يتمرد على صبره فيصر على ألا يدوم..

فانه بين هذا العشق وابن عمه الصبر يصبح للحب ناسه وللزواج ناسه أيضا ،وهي فلسفة نرفع شعارها عندما نكون على عتبة القرار أو البيت.

يؤكد هذه الحقيقة استطلاع أجري مؤخرا لتحديد من هم ناس الحب وناس الزواج ، فأقر الرجال بأن المتحررة أو المتهورة والغامضة والغير مسئولة هي نماذج للمرأة التي تصلح للحب لا للزواج وبالمثل أفادت النساء بأن النموذج الضعيف والعواطفي والنسونجي والبخيل والمتسلط يحتل قائمة من لا تتزوج بهم المرأة أي أنهم صالحون للحب لا للزواج.

ولكن لان هذا الحب من أثمن الغنائم التي يحظى بها الإنسان في حياته فان المحب يلفظ هذه النظرية ويصر في أحيان كثيرة

على ألا يتخلى عن حب حقيقي عاشه ويراهن على ما لا يمكن تخطيه بعد الزواج.

فإذا كان هذا حال العاشقين أشباه المجانين فماذا عن العقلاء؟

العقلاء ممن يرغب في الزواج فقط يتصرف بذكاء وحكمة ما دام قد أغلق قلبه بمفتاح ألقاه في المحيط وودعه إلى غير رجعه ،وهو ما أقدمت عليه إحدى المليونيرات السعوديات العاقلات جدا حينما تركت عند الخاطبة مواصفات سيئة عن نفسها في سبيل الحصول على عريس (غير طماع) فذكرت في هذه المواصفات بأنها غير جميلة وسمراء اللون وفقيرة جدا!

تصرف قد يبدو حكيما للغاية لفتاة ترغب في الحصول على شريك حياة لديه الحس الإنساني الذي يجعله يقدرها كإنسانه بصرف النظر عن جمالها ومالها.

ترى هل أدركت بالفطرة أنها تبحث عن ابره بين كومة قش؟

ربما ..

ثم على الجانب الآخر نجد المغنية المجنونة عشقا بريتني سبيريز قد راهنت على قصة حب لرجل لم ينسى أنها جميلة وثرية حتى

انتهي بها الحال صلعاء في مصحة نفسية بعدما حلقت شعرها كمناسبة للاحتفال بالنكد وفنونه بدل الحب وجنونه، فالشعر أكثر ما يفضح صراعات المرأة النفسية وتقلبات مزاجها العاطفي وهو ما يفسر لجوء النساء إلى تغيير (اللوك) باستمرار كاحتفال كرنفالي باعتزال الغرام أو بنهاية قصة حب أو بداية جديدة ..

إذن هي لحظة ألم عاطفي ليس إلا..

تتمرد فيها الأنثى العاشقة بطريقتها الخاصة على مشاعرها الأنثوية وذاكرتها العاطفية ولون شعرها الذي طالما تغزل الحبيب بخصلاته المجنونة.

انه قانون الحياة..

القانون الذي لا يحمي المغفلين..

ويصر على تعذيب ومعاقبة العاشقين!

على هامش الحياة

حدث أن تجرأ أسعد رجل في العالم مؤخرا وأخيرا على كشف سر السعادة بكل ثقة دون الحاجة إلى إصدار كتاب ضخم ينضم إلى مئات الكتب التي صدرت وتمت ترجمتها إلى لغات العالم البائس المهموم .

ورغم أنه ليس للسعادة قانون ولا منطق ولا ثمن، ورغم أن الحظ يبدو أحيانا " كدقيق فوق شوك نثروه.. ثم قالوا لحفاة يوم ريح اجمعوه ""

إلا أن الراهب البوذي ماثيو ريكارد يحيا سعيدا بل هو الأسعد على الإطلاق بعيدا عن مسألة الحظ والظروف بفضل نظريته التي تقوم على مهارة السيطرة على الذهن الذي هو مطواع .

إذن..

السعادة مهارة ذهنية ليس إلا لم نتعود على ممارستها وبناء عليه فان هذه السعادة التي نلهث خلفها دون جدوى بين أيدينا جميعا بدون استثناء، فقط يكفي أيها القارئ أن تستيقظ صباحا معافى لتكون أسعد من مليون شخص سيموتون في الأيام المقبلة وبالتالي عليك أن تقرر فقط أن تكون سعيدا!

في الحقيقة هي نظرية فريدة وناجعة والأجمل أنها تحت الطلب إذا تمكن الذهن من التغلب بالفعل على العوامل التي تسبب شعور الناس بالاكتئاب، فأن تتمرن على السعادة أمر يمكن إتقانه لكن الإبحار فوق أمواج المصائب والكوارث والمشاكل القادرة على كسر شراع أي مركب مهما بلغت مهارة قبطانه يبدو أشبه بالمستحيل خاصة مع أصحاب الحظوظ العاثرة فهل يمكن لهذا الذهن العبقري الذي هو سيد الموقف أن يسعد بالشوك ويترك أمر الدقيق المنثور في محاولة عبقرية للقبض على هذه السعادة بأي ثمن.

وهل يبدو الأمر مقنعا ؟

هو كذلك إذا استشهدنا بتجارب كثيرة أجراها علماء النفس والتي تدل على الدور الخطير الذي تلعبه الهيمنة على العقل البشري.

ومنها تجربة غريبة من نوعها أجريت على سجين في الهند كان قد حكم عليه بالإعدام شنقا ، حيث أقنع العالم السجين بالموافقة على قتله بطريقة أقل ألما من الشنق وذلك عن طريق سحب دمه حتى آخر نقطه فيه ثم مدده على سريره بعد أن قام بتعصيب عينيه وتظاهر بإحداث خدش صغير في ساقه كي يوهمه بأنه بدأ بسحب دمه ، علق العالم قربة ماء مثقوبة

بإحدى قوائم السرير فبدأت القربة بالتنقيط وأخذ العالم يتحكم بتواتر قطراتها محاولا إقناع السجين بأنه على وشك أن يخسر دمه كله .

مات المريض عندما توقفت القربة عن التنقيط علما بأنه كان بصحة جيدة وبأنه لم يخسر في حقيقة الأمر قطرة دم واحدة !

فإذا كانت أكبر قوة تملكها الطبيعة تتمركز في العقل البشري وأكبر قوة يملكها الإنسان تتمركز في برمجته لهذه القوة، فلم لا نبرمج عقولنا على الفرح والسعادة إذن ؟

في الواقع نحن لا نحتاج كتب تفسير أمر السعادة أو مفهومها العصي ولا إلى تمارين يومية على هذه الرياضة الروحية القاسية فيكفي أن نعي أن في الألم دافع أقوى للتمسك بالحياة ربما لأنها نقيض الفرح ثم تصبح السعادة قرارا نتخذه وليس ظرفا نعيشه هذا إذا ما كانت حياتنا ملكا لقراراتنا الحرة.

والشعراء خير مثال على هذه السعادة المازوشية فما الذي يستفز مشاعرنا ويقرص قريحتنا بل ويغرس الشوك في قلب أفئدتنا سوى الألم والحزن ،فالكاتب أو الفنان مبدع والمبدع إنسان متألم يصرخ بطريقته الخاصة ليس إلا.. ويبتدع سعادته من وهم الألم ..

السعادة بثوانيها الهاربة لذيذة بلا شك كطيف شهي سرعان ما نلتهمه ثم نتجشأ ونسترخي ونتدلع طالبين نظريات جديدة تفسر لنا هروب هذه السعادة التي تبخرت بلقمة واحدة.

نعم نحتاج إلى بعض الألم لا لنبقى سعداء لكن لنبقى على قيد الحياة بشهية مفتوحة للانقضاض على أية رائحة توحي بوليمة سعيدة.

وهي نظرية يحتاجها أولئك الذين يعيشون على هامش هذا الألم..

وهامش السعادة..

بل وهامش الحياة.

"أطبطب.. وادلع.."

تصر قطتنا اللقيطة التي أطعمها مشفقة على يتمها علـــى ألا تلمس طعامها وتمؤ بإصرار حتى المسها وأربت أو أطبطب على رأسها الصغير مطالبة بحقوق لم تمنحها إياها، وهي إذ تدهشني بأولياتها التي تضع فيها حاجة اللمس فـــوق الطعـــام حـــتى في لحظات الجوع الكافر .. فما كنت أعتقد أن الحاجة إلى الحنان تساوي الحاجة إلى الطعام في صغار الحيوانات.

يتداعى الموضوع ليذكرني بأغنية "أطبطب" للفنانة نانـــسي عجرم بعنوان العفوي اللذيذ.

وأطبطب مأخوذة من ربت أو لمس أي من المحبة والمـــداراة والود، انه التواصل..

نوع من التواصل لا نمارسه أو نتبنى ثقافته إلا نادرا علـــى اعتبار أن اللسان موجودا إذا شئنا التودد لفظيا وكفى،رغم أننا كمخلوقات حية عاقلة وعاطفية نحتاج إلى ما هو أبعـــد مـــن اللمس واللفظ من معاني روحية دافئة وأعمق منه كبعد نفسي وجسدي إلا أننا نبدو وكأننا نعاني من فقر مـــدقع بمفـــردات الحب وأدواته فننسى أن نمسح على الحيوان الأليف .. بل نقدم له الطعام فقط ليشبع

ننسى أن نربت على رأس طفل صغير.. إنما نحضر له الهدية فقط ليفرح

ننسى أن نطبطب ونتواصل معنويا مع الأم .. ونزورها فقط لترضى

ننسى أن نطبطب أو نلمس الحبيب أو الشريك.. نمـــارس حقنا الزوجي فقط لنسعد

نبدو وكأننا نجهل الكثير من أدوات التواصل الإنساني مـــع الآخر ومع ذلك نسبقه لنشكو سؤ العلاقة.

ترى هل هو الجهل أم التجاهل ؟

وهل فينا من يجهل أهمية اللمس والطبطبة والملاطفة لنفسية الأطفال رغم ما يتعرضون له من أمـــراض نفـــسية وعقليـــة وجسدية إذا ما حرموا العاطفة و لم يتلقوا لمسا ؟

هل فينا من يجهل دور هرمون الأنوثة الذي يجعل جلد المرأة أرق وحاجتها إلى اللمس أكبر ؟

هل نجهل أننا نملك ملايين الخلايا العصبية على سطح بشرتنا لم توجد عبثا بلا حكمة و لم تخلق حتما بلا معنى..

ثم يمر الدلع بلحظاته الحلوة باعتباره عادة طفوليه

وتمر الطبطبة مرور الكرام باعتبارها رفاهية احتماعيه

ويصل الحال بالبعض كمن يموء كقطة ويبكـــي ويـــصرخ كطفل لأجل ما يدركه أحبائه ولا يفعلونه!

و .... يطول الانتظار !!

هل الرجال ضروريين ؟

إذا كانت الطبيعة قد خصت الرجل بالأمراض القلبية والسكتات الدماغية وحتى عمى الألوان في مقابل زيادة معدل أعمار النساء رغم ما يتكبدنه من آلام الحمل والولادة فإن الحروب التي هي اختراع ذكوري قد أضافت المزيد من أسباب مفترضة لانقراض هذا الكائن الجميل.

يحدث هذا أيضا مع انحيازنا فطريا وثقافيا إلى تفضيل الذكر على الأنثى إلى حد استخدام احدث الاختراعات الطبية في تحديد جنس المولود ، الأمر الذي ينعكس سلبا ليهيئ المبرر للتصورات الشعبية البعيدة عن المنطق العلمي والتي تقول بأن نسبة الإناث تفوق نسبة الذكور وبالتالي تبرز الدعوة إلى تحقيق التوازن بين الجنسين من خلال طرح الحلول الكثيرة التي تصب في مصلحة الرجل ليتدلل أو يحصل على أكثر من زوجة.

نعم ربما يفقن الإناث الذكور عددا كنتيجة طبيعية للحروب التي هي من صنع البشر إنما تبقى نسبة ضئيلة جدا لا تتجاوز ١% أو ٢% في اغلب الأحيان والتصور الشعبي السائد هو تصور خاطئ نظرا لأنه لا يستند إلى حقائق علمية من جهة ومن جهة أخرى يؤكد جهل العديد من الأشخاص بمعلومة علمية مهمة وهي أن الطبيعة تعمل بنظام التوسط بمعنى أن كل

الأشياء الموجودة في الطبيعة تحتاج إلى التوسط وهي قدرة الخالق التي تتحلى في كل شيء متوازن ومحكم الصنع هذه المعلومة يؤكدها علماء الفيزياء والمعطيات الاجتماعية التي توجد عند علماء الاجتماع وعلماء الإحصاء فالنسبة دائما في المتوسط أي إذا كانت نسبة الذكور ٤٨% أو ٤٩% فان عدد الإناث في المقابل سيكون ٥٢% أو العكس إذا زاد عدد الذكور على عدد الإناث وكل جنس يفوق الآخر بنسبة ضئيلة جدا تنحرف عن المتوسط بشكل ضعيف لا يؤثر على التوازن المطلوب فعدد سكان لبنان على سبيل المثال حسب تقرير التنمية لسنة ١٩٩٨م يقدر ب ٣,١ ملايين نسمة تمثل نسبة النساء ١,٥ فقط وعليه فان عدد الذكور أيضا قد يفوق عدد الإناث في بعض المناطق أو بعض السنوات بنسبة ضئيلة فهل هذا يعني البحث بالضرورة عن حلول تأخذ شكل الثقافة السائدة لإنقاذ هؤلاء العزاب بتوزيعهم على الجنس المتفوق عددا في إطار التعدد ؟ شخصيا لا أؤيد هذا على اعتبار أن الزواج ليس شرطا لتحقيق السعادة إنما هو ملح الحياة وكثيرون يعيشون الحياة ماسخة على أية حال سواء كانوا عزابا أو متزوجين ، لكننا نصر على أن نسبة الإناث تفوق الذكور دائما وأبدا ..ويفوتنا أن نتذكر بأن صحة أو دقة وموضوعية الأفكار لا تضمن تسويقها بالضرورة إذ لا يتقبلها الكثيرون

ويرفضونها لعدة أسباب منها عدم استساغة مـــذاقها أو عـــدم التعود عليها فتصبح وجبه ثقيلة وغير مرغوبة ، هكـــذا هـــي الوجبات الفكرية فلا يمنع أن تكون سيئة وضارة من انتشارها وتناولها نتيجة العادات والتقاليد.

أيضا في تحقيق نشر في إحدى المطبوعات المعنيـــة بـــالمجتمع وهمومه تساءلت الكثير من العازبات إذا مـــا كـــان الرجـــال ضروريين في الحياة .. وإذا ما كان ضروريا فانه حتمـــا لـــيس كالماء والهواء.. وهذا الرأي وان كان متطرفا إلا أن الغريـــب والمدهش أن يقابله رغبة معظم الرجال في الزواج بأكثر مـــن امرأة !

وربما نظرة تأمل إلى أسطورة شهريار يمكن من خـــلال أن نلحظ لماذا يرغب الرجل في عدد كبير من النساء في حين تفـــر كثيرات من هذه التجربة التي ربما تودي بحياتها إذا لم يجدن سرد الحكايات لأكثر من ألف ليلة وليلة..

و...عذرا أعزائي الرجال

جوارب الحبيب

يكشف لنا علم الانتربولوجيا المثير من بإبداعات الـشعوب والثقافات الأخرى بما فيها من ابتكارات غريبة وظريفة ومعقدة أحيانا ، خاصة فيما يتعلق بالزواج والطلاق من عادات نطرقها غالبا من باب التأمل والمقارنة لكنها حتما قد توحي لنا بأفكار جديدة وخلاقة تستحق الالتفات ..

وبقليل من التأمل ندرك كم أصبحنا تقليديين في عاداتنا التي شكلت طريقة تفكيرنا حتى انحصرت مشاكل الـزواج لـدينا بغلاء المهور وتكاليف الزواج الـتي لا نزيـدها إلا رسـوخا بإصرارنا عليها، فالشاب بطلبه عروسه يكون قد رمى الكـرة في ملعبها لكنها لا تشترط أو تطلب إلا المهر الكبير والحفـل الباذخ .. فأين هو الإبداع ؟

بارد هو مسرح الحب خالي من أي أحداث شيقة تـصلح لان تكون مصدر لإلهام مؤلفي الأفلام والمسلسلات الرمضانية.

فإذا شاءت العروس أن تختبر عريسها فإنها تطلب مهر زواج كبيرا !

وإذا شاءت أن تضمن وفاءه فإنها أيضا تطلب مؤخر زواج أكبر !

امتحان الحب هذا تتفنن فيه شعوب وثقافات أخرى بعيـــدا عن البعد المادي بأشكال مختلفة وإن كانت أكثر قسوة وحـــدة مثلما يحدث عند قبائل جنوب الهند التي تقوم فيها الفتاة بكـــي عريسها بالنار حتى إذا صمد ولم يتألم فاز بالزواج منها لأنـــه يحبها ويستحقها..

نعم هو امتحان قاس ومؤلم لكننا نفعلها بشكل أو بـــآخر عندما نكوي عريسنا المدلل بطلباتنا التعجيزيه .

هل يبدو من الصعب ابتكار أساليب جديدة ومختلفة لاختبار حب الشاب ومدى تعلقه بعروسه؟

لا أتصور ..

ففي موريتانيا مثلا حيث أغرب العادات استطيع أن انتقـــي تلك العادة التي تتعلق بعقد الزواج حيث يكتب بين قوسين (لا سابقة ولا لاحقة) يعني تشترط المرأة في الزوج أن لا يكون قد تزوج ولا يتزوج من ثانية.

وفي مثال آخر تعجبني عادات الزواج عند القبائل الـــصينية حيث الطريقة مبتكرة وظريفة وتشبه ما يحدث في حلقات توم اند جيري في طريقة طلب ود العروس والحصول على موافقتها

إذ يذهب الشاب باكرا إلى بيتها ويعلق عليه جواربه فإذا قبلته الفتاة تقوم بإدخال جواربه إلى بيتها ..

وفي حالة رفضها تبقى الجوارب معلقه بالخارج حتى يسأتي المسكين ويأخذها !

تريدون الصراحة .. لا أرى بأسا في اقتباس أفكار الآخرين أحيانا.. ومن هذا "الكوكتيل" المليء بالإثارة استطيع مـــثلا أن أصنع أغرب زواج يليق بمبدعين !!

ولا تنسوا أن شروط الزواج هذه عندما تقفز عـــن المعـــنى المادي فإنها تصبح في غاية الجمال والظرف لأنها تمـــنح الفتـــاة الشعور بدلال العروس التي من حقها أن تشتهي وتتمنى الغريب والعجيب حتى وان كان " لبن العصفور".. ربما انتقاما لأيـــام قادمة قد لا ترى فيها الدلال مرة أخرى.

ونحن الفتيات ربما بتركيبتنا الناعمة والمسطحة قليلا نستطيع أن نتوقع بكل باسطة أن يأتينا هذا الدلال على طبق من فضة !

لم لا .. فها هو شعب الباسيفيك مثلا .. يدلل فتياته اللاتي يطلبن ٢٥ ذنب فأر مهرا لهن.

بالطبع لن أوجه دعوة صريحة لتقليـــد هـــذه الـــشعوب في غرائبها على الأقل لأني أقرف من الفئران والجوارب.. إنما يمكن استبدالها بحيوانات ومقتنيات أخرى تناسب ذوقنا الخاص ..

أيضا شخصيا فاني لا أمانع أبدا في تبني وجهة نظـــر .. أو بعد نظر تلك المرأة التي اشترطت في عقد زواجها الحصول على "قلب" زوجها في حالة خيانته الزوجية لها ومـــن ثم حقهـــا في طلب تنفيذ هذا الشرط بحكم المحكمـــة لتـــستلمه جـــاهزا في (مرطبان).

نعم قد لا تضمن هذه الشروط حياة زوجية سعيدة لكني لن أتردد في المطالبة بها ولا مانع من الاحتفاظ بقلب الحبيـــب في" مرطبان" زجاجي شفاف أضعه إلى جانب قصائدي التي تغنت بصفاته وخفقاته وحتى حماقاته ..

لكن هل يبصم صاحب هذا القلب الشجاع على شروطي التي لا أراها مجحفة.. بل مجنونه .. مبتكره وعادلة ؟؟

بين النقاب وجائزة نوبل

لان للآخرة سلطة على الدنيا أخذت الأديان والعقائد بفلسفتها الروحية والفكرية مكانتها كسلطة تعلو أحيانا على أي سلطة، لكن الأمر وصل إلى حد الهستريا في المبالغة بالتحريم أو التكفير في عالمنا العربي وأصبح ضحايا هذه المبالغة في ازدياد بداء من محاولة اغتيال نجيب محفوظ إلى جريمة قتل فرج فوده.

واليوم باتت مختلف هذه الجرائم التي تلبس ثوب الدين لا تحرك ساكنا في مجتمعاتنا الراكدة بقدر ما حركتها بل زلزلتها قضايا أقل أهمية من حيث أنها تبدو شبه محسومة سلفا بالمنطق أو بالرجوع إلى معظم المذاهب الإسلامية ، فانشغال إعلامنا بقضية النقاب وتأجيجها حتى سرقت هذه الزوبعة الأضواء من أبطال جائزة نوبل لهذا العام وهم الدكتور محمد يونس أستاذ الاقتصاد الزراعي والكاتب الروائي التركي أورهان باموك .. يجعلنا نسأل لماذا لم تنشغل الأقلام والبرامج التلفزيونية بالتعداد السكاني الذي يبلغ قرابة مليار ونصف مليار مسلم لم يحصلوا سوى على خمسة جوائز نوبل في حين أن عدد اليهود لا يزيد على ١٧ مليون ولديهم أكثر من ١٨٠ جائزة نوبل في العلوم!

أما كان الأجدر أن نبحث عن جواب وان نشجع ونحتفي بجائزة نوبل لهؤلاء العرب المسلمين بدل أن تطغى إعلاميا قصة المسلمة البريطانية التي تعلم في إحدى مدارس بريطانيا والتي

أصرت على ارتداء النقاب بشكل يعيق الأطفال عن رؤية تعبيرات الوجه أو مخارج الحروف وتحول موضوع النقاب على أثر ما أضافه وزير الخارجية السابق في بريطانيا من ملاحظات إلى دعاية إعلامية طغت على انجازات العرب لهذا العام بشكل غريب ومؤسف. أقول مؤسف لان النقاب غير الحجاب رغم كل النقاشات الدائرة حوله والإصرار على التشنج في مناقشته يمثل نوع من المغالاة ورغم ذلك فان هذه المغالاة قد تكون حق لأصحابها وأمر اختياري محض إذا كانت في مجتمعاتنا التي تتفهم وتتقبل لا في مجتمعات ترى في النقاب قناع يعوق الاندماج في المجتمع إضافة إلى الاعتبارات الأمنية المستحدثة.

لقد تحول خبر يتعلق بالنقاب إلى نجم يلمع في سماء عاصفة إعلامية...

وبقي خبر آخر يتعلق بجوائز نوبل لعرب مسلمين مجرد خبر يتيم في جريدة !

أضيف بأن الجدل حول النقاب جيد وصحي لكن لماذا نجعل منه موضوعا أهم وأكثر ضجيجا من جائزة نوبل للاقتصاد أو الأدب ؟

لماذا ننفرد دون سائر الأمم بالانشغال بالزوابع والفقاعات وتقديمها حتى على انجازاتنا القليلة جدا ؟لماذا ؟؟

من هو المسئول عن توحش الرجل ؟

جميلة هي الحشمة ورائع هو الوقار ،لكن لماذا تبدو المـــرأة العربية رغم حشمتها مقارنة بالأخريات موضوعا متأججـــا لا يهدأ في أحداثنا وبرامجنـــا وحـــتى في تفـــسيراتنا وتحليلاتنـــا الاجتماعية والدينية ..

لقد خلق الله المرأة على هذه الصورة بطبيعتها الأنثوية الـــتي تميل إلى الجمال والتجمل: فهل المشكلة فعلا في جمالها وفتنتها ؟

المرأة الشرقية رغم حشمتها لا تحضر إلا كقضية مستعصية ووحدها تدفع ثمن هذه الإشكالات حتى يصبح يومـــا قـــد لا تتجرأ فيه على الخروج من منزلها كي لا تتعرض لما تعرضت له مؤخرا في شوارع القاهرة من تحرشات جنسية جماعية .

هذا الحدث الذي شكل صدمة لأغلبنا..

إلا أننا كما اعتدنا على معالجة القضايا المتعلقة بنـــا نختـــار الهدف الخطأ وهو المرأة (الحلقة الأضعف) في المجتمع الذي يعاني فيه الرجل من ثقافة الاضطهاد والعنف فيعكسها بدوره علـــى شريكته الأضعف.

مر الحادث بما ينطوي عليه من تـــضخيم ربمـــا كحـــادث مروري لم نعالج أسبابه الخطيرة و لم يطالب احد بمعاقبة كل يد

تطاولت أو كل لسان تلفظ بكلمات بذيئة بعيدة عـــن الأدب خادشة للحياء.

استأنا فقط باعتبارها نتيجة طبيعة لظاهرة البطالة وتأخر سن الزواج لدى الشباب ، والمختلف والجديد أن هذه الحمـــلات المسعورة على شكل تحرشات جماعية كانـــت ضـــد نـــساء متحجبات أو يرتدين العباءة مما يعني أهن محتشمات على أقـــل تقدير.

وإذ نسأل مجددا .. من هو المسئول فعلا عن غرائز الرجل ؟

هل يمكننا بعد اليوم أن نصر على تعليق تبعية أخطاء الرجال على شماعة المرأة السافرة باعتبارها موضوعا لإثارة الغرائز ؟

هل يمكن بعدما حدث في الشراع العربي من تحرش جماعي هذه المرة أن نقبل بتفسيرات كانت سابقا تقنعنا كالاختلاط أو اللحم المكشوف أو التبرج والتعطر ومختلف الأساليب الأنثوية لاستدراج الرجل إلى أفعال يستنكرها المجتمع ولا يقبلها الرجل نفسه.

وبالمقارنة لماذا لا نجد مثل هذه الظاهرة في مجتمعات أخرى تعيش المرأة تحررها فلا نقبض عليها متلبسة كقـــضية مـــثيرة للجدل أو متهمة ككبش فداء لانزلاق الرجل بالرذيلة ؟

ترى هل هنالك رسالة موجهة من الشارع العربي إلى نـــسائه والعالم ؟

وإذا كان الرجل الشرقي يرى في التزام النساء بيوتهن حلا.. فلماذا يتهافت على مشاهدة محطات الأغاني الخليعة ويفضلها ربما على برامج أكثر جدية واحتراما وعندما يكون الريمونت كنترول في يده وحده يسيء الاختيار ؟

وإذا كان الرجل الشرقي لا يريد للمرأة أن تعيش كما يعيش.. فلماذا أصبحت أغنية "بدي عيش " للفنانة هيفاء وهبي الأكثر شهرة وأغنية "الواوا " الأكثر مبيعا وتكسيرا للدنيا .. دنيا الرجل !

نعم قد تتحرش المرأة بالرجل .. بنظره أو ابتسامه أو نسمة عطر تفوح منها أو ثوب جميل، لكن كيف يتحرش الرجل ؟

يتحرش بكلمات بذيئة وأيدي طويلة أو نظرات وقحة جائعة وأخيرا أصبح يحتفي بالمناسبات والأعياد بحملات تحرش جماعية مسعورة، هتف فيها الشباب بكلمات قبيحة وتطاولوا بأيدي أكثر وقاحة حتى اضطرت النساء للاحتماء والاختباء في المطاعم والمحلات حسب الشهود.

ونعم غضبت جميع الأوساط الاجتماعية مما حدث لكن أحدا لم يتخلى عن شماعة هذه المرأة..

فتأخر سن الزواج لدى الشباب يجب أن تعالجه المرأة بالامتناع عن التبرج..

والبطالة أو الكبت يجب أن تدفع ثمنه المرأة باعتبارها مسئولة عن تفجير هذا الكبت حتى وان التفت بعباءة!

ترى متى نعترف بأن المرأة لم ولن تكون مسئولة عن أخطاء الرجل..

وهل كان إبليس يوما مسئولا عن أخطاء البشر ؟

غواية الشوكولاته

لا أنكر اهتمامي ببعض الاكتشافات العلمية التي تعطي شرعية لبعض سلوكياتنا العفوية أو تدينها..إذ هي تشبه بهذا ما حدث حين اكتشفنا فجأة بأن الأرض كروية وليست مسطحة..

فها هي الأنثى أخيرا بريئة من تهمة الدلع وقلة الأدب فهي تسير حسب تركيبة جسمها وبنيانها الجسدي ليس إلا بعد أن كانت مشيتها إلى هذا اليوم مثار ريبة وشك في نواياها.

أما الشوكولاتة فبعد أن كانت مادة بريئة طفولية أصبحت مدانة بلا مقدمات بالتحريض على الحب بل والتفوق على القبلة في التسبب في الإثارة.

وهذه التهمة الجديدة قد تغير طعم مستقبلها اللذيذ إلى شبهة من النوع الثقيل حتى أظنها ستصبح محرمة أو ربما تصدر فتوى بتحريمها قريبا.

يهمني أمر الشوكولاته كثيرا فبنا نحن الشعراء والكتاب افتتان بهذه القطعة السمراء المثيرة لشهوة الكتابة ربما إكراما للحظة الإلهام الأدبية نغوي بها تلك المنطقة الخاصة بالعاطفة في أدمغتنا ففي ضوء كل حالة كتابة غواية من نوع خاص.

لكن الأخطر من التفوق على القبلات في مضمار الإثارة هو أها تعمل على نفس المنطقة في الدماغ لتشترك مع الحب في أن تجعل التوقف أمرا صعبا للغاية.

مما يعني أننا ندمن على التهامها تماما كما ندمن على مادة النيكوتين .. فمصطلح (chocholic) يعني مدمن شوكولا وهو مصطلح يعبر عن الإدمان قبل أن يصبح مصطلحا علميا، فكما أن الوقوع في الحب ينشط مراكز المتعة في الدماغ ويلعب دورا رئيسيا في الإدمان عليه فان هذا الأمر يفسر بدوره إقبال الناس على تناول الشوكولاته كلما شعروا بالحرمان العاطفي كما يدمن المتألم على مسكنات الألم فحبات الكوكو التي تصنع منها الشوكولاته تحتوي على مادة غذائية ذات تأثير مباشر على الجزء الخاص بالعاطفة في الدماغ.

لهذا قد تعبر الطريقة والكمية التي نلتهم بها هذه الشوكولاته عن حالتنا العاطفية البائسة أما مؤلف كتاب (العلاج بالشوكولاته.. رحلة لاكتشاف ذاتك الداخلية) فيرى في الأمر ما هو ابعد من ذلك فاختيار نوع الشوكولاته وشكلها وحشوها بالإضافة إلى كيفية التخلص من أوراق تغليفها بعد أكلها سلوكا يكشف الكثير عن الشخصية وميولها.

فمحبو الشوكولاته باللبن على سبيل المثال أشخاص يتسمون بالبراءة ويحبون العيش في ذكريات الماضي أما عشاق الشوكولاته السوداء الغامقة فهم أشخاص عمليون ماديون ومحبو الشوكولاته البيضاء فلديهم إحساس داخلي بالاستقامة ويعتقدون بنفوذهم وتأثيرهم .

إذن الشوكولاته محبوبة الصغار ومعزية الكبار وليس عبثا على الإطلاق أن أطلق عليها الأطباء الفرنسيين اسم (طعام الآلهة) وليس غريبا أيضا أن تصبح عبر العصور رمز للاحتفاء والإهداء والتلذذ والمشاركة.

لم أكن اشك للحظة أن هذه القطعة التي تشكل أهم لوازم تحسين المزاج هي من يغوي مزاجي الشعري ويحث الانجاز الفكري فينا..

انجازاتنا هذه تتحول فيما بعد إلى مصدر فخرنا واعتزازنا وربما انطلاقا من هذا الإيحاء عملت إدارة المهرجان الايطالي للموسيقى على إهداء الفائزين جوائز مصنوعة من الشوكولاته ولم تتردد مؤخرا الممثلة الاسبانية الشهيرة بينلوبي كروز على التهام جائزتها التي كانت عبارة عن تمثال مصنوع من الشوكولاته في رد فعل فوري لحالة عاطفيه مفعمة بالجوع،

نعم الجوع ..

فكلما ازددنا نجاحا ازددنا وحدة وإحباطا عاطفيا وإذا كان لا شيء يستحق الحزن ولا حزن يستحق البكاء فيكون الاحتفاء بهذه الشوكولاته بدل التهامها نوع من الإبداع الفكري

وهو ما أقدمت عليه المصممة البريطانية زاندرا رودوس عندما قامت بتصميم فستان مصنوع من الشوكولاته لصالح

احد المعارض في لندن، شاركها في هذا الجنون احد عشاق الكمبيوتر بصنع لوحة مفاتيح من الشوكولاته التي تتميز بأذواق مختلفة.

أما المترفين الذين لا يجدون دافعا عميقا وحقيقيا للألم والإثارة والإبداع فان شركة ديلا في (Delafee) في سويسرا لم تنسى أن تصنع لهم أفضل أنواع الشوكولاته المصنوعة من الكاكاو مع رقائق صغيره صالحة للأكل من الذهب ذي الأربع وعشرين قيراطا.

بي فضول أن أقف على أرباح تلك الشركة باعتبار أن فالمترفون أكثر من يعاني من الإحباط والجوع العاطفي

كذبة جميلة مستبدة

الحب كابتسامة الموناليزا لها ألف تفسير وتفسير ، لكنها في النهاية تبتسم سواء لك أو عليك.

وقد أصبح من المسلمات أن الحب عملية كيميائه لا تقع فجأة وإنما بعد موافقة الدماغ الذي يحتفي هرمونيا بهذا القرار..

نعم يحتفي بقرار غير واعي أو بضغطة زر حمقاء تجعلنا نقع في الحب، هذا الحب الذي يشبه الحرب تماما من السهل أن نشعلها ومن الصعب أن نخمدها..

ربما لهذا نجتهد في ملاحظته وتفسيره وتحليله على الأقل أملا في أن نكون من يضحك في النهاية ويبقى السؤال وكأنه سرا كونيا..

ما الذي يجعلنا نفرح بربطة عنق حمراء أو دبا أحمرا سخيفا في الفالنتين ؟

أحدث نظريات تفسير هذه الجريمة العاطفية تشير بأصابع الاتهام إلى تورط الأنوف في هذا المصاب، فهل نكون قد سقطنا صرعى للحب بأنوفنا مثلا ؟

نظرية الحب بالفيرمون تؤكد هذا والسر يكمن في جزيئات دقيقه لا رائحة لها تجعل الرجل يركض خلف حبيبته والمرأة تستسلم لحبيبها .

والفيرمونات مواد يفرزها أفراد ليستقبلها أفراد آخرون من نفس النوع لإحداث استجابة محددة تسمى هذه المواد العضوية المتنقلة بين الطرفين الفيرمونات (Les Phermones)..

أما النتيجة فهي الترويج لعطر مدعم بالفيرمونات من قبل شركات تجارية على استعداد لإقناعك بأن الأمر في غاية البساطة عندما تتعامل مع كائن يحب بأنفه!

هذا العطر الطبيعي الساحر مكون أساسا من الفيرمون ممزوجا بزيوت محددة لخلق رائحة من شأنها أن تجذب الرجال أو النساء دون عقول طبعا ويباع في قنينات بثمن يصل إلى ٦٠ دولارا فأكثر .

فهل تكون العلاقات العاطفية هي مجرد فيرمونات إنسانية لا أكثر ؟

وهل نفرح بهذا الخبر الذي يجعل من الحبيب كلبا يسيل لعابه مهرولا خلف حاسة الشم ودليله الأنف لا القلب؟

وهل يصبح الحب عطرا أو (تي شيرت) يلبسه أصحاب كل المقاسات فلا يضيق علينا أو بنا ؟

لا أعتقد أن هناك من يستسيغ نظرية الحب الكيميائي وان كانت مقنعة نظريا ؟

فانا لم استسغ يوما مادة الكيمياء والفيزياء وقصيدة شعر كاذبة هي بنظري أجمل من نظرية علمية صادقة.

الحب كذبة..

كذبة ساحرة وجميلة ومستبدة..

أفضلها وهما خالصا لا يولد في المختبرات وإنما في سراديب الأحلام ، فهي ابن شرعي للحلم لا للعلم ..

نعم العلم والحلم ضدان لا يلتقيان ؟

وإلا كيف يكون الفيرمون مسئولا عن حالات لا تحصى أبدا من الغرام ..

كيف يكون مسئولا عن سترة يخلعها الحبيب كي يدفئك؟

أو عن فنجان قهوة لم تطلبه ؟

أو صوت مرح يخفف ضيقك؟

أو غيرة مجنونه تشعل حطب شتاءك؟

أو مراضاتك والحق عليك ؟

يبدو الحب جميلا هكذا كما هو بزئبقيته وغموضه وعصيانه على العلم والعقل..

فذكائه في أن تلدغ من الجحر مرتين

وعبقريته في أن تعود وان غبت وكابرت

بل وروعته في رجل أربعيني أشيب بنسبة ٨٥% يصر على ألا يصبغ شعره لأنه يعجب الحبيبة.

مؤسسة (الحنان) !

حنان هو اسمي الذي أصر والدي على تسميتي به بسبب ميوله الأدبية أو ربما لأنه تنبأ لي بفيض من معانيه قد أفيض به على من حولي ، المهم أنني في كلتا الحالتين أصبحت مطالبه ضمنيا بأن أكون اسم على مسمى فتعودت على سخرية البعض أحيانا حين يرددون قائلين : اسمك حنان .. فأين هو الحنان ؟ حتى يحلو لأحدهم أن يزيد من غيظي فيناديني (حنش) حتى بت أشعر وكأني نوع منقرض من الحيوانات البرية!

وبين حنان وحنش قررت بعناد طفولي ألا أمنح من هذا الحنان إلا بقدر ما أشاء وأتكرم فلن أكون وحدي على هذه الأرض ممثله للنوايا "الحنانيا".

فهل الأسماء كما الحب تبدو كمصيدة توقع بنا في فخ ارتداء أثواب ليست لنا ولا تعكس حقيقتنا بالضرورة؟

ربما هذا ما حدث في مؤسسة اسمها مؤسسة (الحنان) اثر انتهاك حقوق وإنسانية أطفال العراق الأيتام والمعاقين بكل قسوة ووحشية!

وتفاصيل الخبر التي أفادت العثور على ٢٤ طفلا عراقيا تعرضوا لكافة أشكال الإهمال والتجويع والاعتداء الجنسي، هذا

الخبر الذي شكل فضيحة إعلامية لا تقل عن فضيحة أبو غريب أثارت ردود أفعال سياسية الدوافع فمن وزير يتهم الجنود الذين اكتشفوا الجريمة بالأعداء الذين لا يجوز تصديقهم إلى آخر يؤكد على أن الدار للمعاقين لا للأيتام وكأنه يجوز إلحاق الأذى بالمعاق!

ثم لم يتردد آخرون في الترحم على النظام السابق باعتبار أن الحكومة الحالية مقصرة وأن العراق هو اليوم في أعلى مرتبة في الفساد الإداري في العالم.

لكنها سخرية الأقدار حين يأتي هذا الخبر في الوقت الذي تحتفل فيه طوكيو بأول دار لرعاية الكلاب المسنه في اليابان فيضخم من حجم المسافة التي تفصل بيننا وبين العالم الأول.

وبالعودة إلى الحنان والعاطفة الإنسانية بمعانيها لأشمل تصبح هذه الحالة ليست إلا دليل آخر على مدى الانحطاط الأخلاقي وبشاعة وجه الإنسان الحقيقي في معزل عن حكم القانون وقيود المجتمع ورهبة الدين.

البعض طالب الحكومة العراقية بتشكيل لجان دائمة لتفتيش المؤسسات الحكومية لمعرفة ما يجري فيها من انتهاكات وعلاجها قبل تفاقمها إلى هذه الدرجة البشعة..

حل مقبول طبعا يطالب بالعدالة الاجتماعية، لكن هل يكفي التفتيش ليحارب التدهور الأخلاقي وهل يغني القانون ولجانه عن الحنان الحقيقي إذا كان غير موجود أصلا؟

لا أتصور ..

كما لا أتصور أن حكومة اليابان هي من فرض الاهتمام بالكلاب المسنه إذا لم يكن لديهم فائض من حنان حتى يأتي مشروع كهذا تلبية لاحتياجات أصحاب الكلاب المهتمين بكرامة الكلب الياباني!

هذه العاطفة وهذا الحنان نطالب نحن للأسف بفرضه بقوة القانون ومن خلال لجان تفتيش ليترل على أطفالنا البائسين مرا كالعلقم وموجعا كالشوك وكافرا كالجوع في مؤسسة اسمها مؤسسة (الحنان)!!

رجل واحد لا يكفي

إذا كانت امرأة واحدة لا تكفي في عرف معظم الرجـــال وحبيبة واحدة قد لا تغني عن النزوات العابرة، هل يمكـــن أن يكون الإنسان هو الأرق والألطف أو الأكثر وفاء وإخلاصـــا في الحب؟

ثم إلى أي مدى قد تتشبه المرأة الرجل حيال المشاعر الثنائيـــة أو التعددية وهل يمكن أن يكون اكتفائها بحبيب واحد ليس إلا ناتج برمجتها الاجتماعية عاطفيا على رجل واحد.

أن صح هذا الفرض فان ذلك حتما سيضع الرجل والمرأة في صف واحد إذا ما أدركته المرأة واعترف به المجتمع، فنتوقع مثلا شعارا جديدا من نوع "رجل واحد لا يكفي " لكن الفـــوارق بين الرجل والمرأة من حيث التركيبة السيكولوجية والعاطفية لا يبدو أنها ترسخ للتساوي أو التشابه بل درجنا على القول بـــأن قلب الرجل مثل الفندق يضج بالنزيلات أما قلب المرأة ففيـــه غرفة واحدة لا تتسع لاثنين لا يسكنها إلا من ملك مفتاحه.. وبتنا كشعراء نشبه قلب الرجل بالميناء وقلب المرأة بالـــسفينة الغارقة !

ترى هل لأن الذكاء العاطفي للمرأة يفوق ذكاء الرجل فإنها تستطيع أن تحسم أمورها سريعا لمصلحة رجل واحد فقط وما اختبارها لبعض العلاقات العاطفية سوى تخبط عاطفي يفقدها مصداقيتها في عالم الحب وبالتالي سعادتها فيه.

لكن ماذا لو أطلقت يد المرأة، هل كانت حقـا سـتكتفي برجل واحد ؟

لا تبخل علينا نتائج الدراسات التي قامـت بهـا إحـدى الجامعات بالجواب حيث تؤكد بأن ٦٠% من النساء لـديهن هذه القابلية للحب المتعدد والسبب حسب هذه الدراسة بـأن المرأة ترغب في الحصول على كل شيء في آن واحـد أي ذات المبررات التي يسوقها الرجل في حال ارتباطه بأخرى فهل نرتاح أم نقلق لهذه الحقيقة؟

قبل أن نفعل فان هذه الدراسة تعود وتؤكد بأن هذه العلاقة الثنائية تعد في إطار النزوات ترجع بعدها حواء لترسـو علـى حقيقة مشاعرها تجاه رجل واحد فقط ؟

وإذا صدقت البحوث فان المرأة حتما لن تـتردد في اتهـام الرجل بأنه كائن أناني ومتطلب قادرا على تبديل عواطفـه في إطار إستراتيجية تبدأ بالحب وتنتهي بالتملق وصولا إلى حاجاته

ويبقى السؤال الأكثر عمقا ..

هل انتهى عصر الحبيب الأوحد يوم كان روميو قادرا على الهيام بجولييت وحدها وهل التورط عاطفيا مع أكثر من شريك يمكن أن يكون حبا حقيقيا؟

سواء صدقت هذه النتائج أو كذبت فليس الإنسان وحده ككائن حضاري مثل "الفريك لا يحب الشريك" ..

ففي عالم الخنافس أيضا تدور معارك عنيفة بين الذكور للفوز بالإناث، أما إذا اتخذ الزوج الخنفس عشيقة له وخان زوجته الأصلية تنتحر هذه الأخيرة وتموت كمدا !

فهل نصر على أننا الأبرع في العشق وفنونه أم أن للحيوان جوانب أكثر إنسانية مما نعتقد.

وهل تبدو المرأة أفضل من الخنفسة في شيء ؟

نعم تذكرت ..

نحن النساء نموت كمدا لكن لا ننتحر.

المرأة الخنفسة والمرأة الدجاجة

ناقشت في مقال سابق ثنائية المشاعر أو التعددية لدى المرأة إذا ما كانت موجودة وهل يمكن أن يكون إخلاصها لشريك واحد طبيعة أصيلة أم أنها ناتج برمجتها الاجتماعية عاطفيا وتربيتها الدينية أخلاقيا.

قارئة أزعجتها الفكرة واعتبرت أني ربما امثل قناعاتي من خلال العنوان"رجل واحد لا يكفي" ، ويبدو أنها انزعجت أكثر من تشبيه المرأة بالخنفسة باعتبارها مخلوق أدنى وأحقر لكنها بلا شك تشترك معنا في شعور جميل وراقي وهو الغيرة والميل إلى الأحادية في العلاقة ، في المقابل فان المرأة بمعزل عن الشعور بالغيرة قد تشبه الدجاجة في حظيرة لا يصيح فيها سوى ديك واحد.

وسواء كنا في الحب خنافس أو دجاجات وبعيدا عن الخيال الأدبي فقد لا يكون من المقبول أن نمارس هواية التخيل فنسأل النساء أن يتخيلوا الوضع مقلوبا في نظام اجتماعي يسمح بتعدد العشاق أو الأزواج فهل كانت ستفعل ؟

قبل أن تكون الإجابة قطعا بلا..

أكاد أسمع وارى علامات الدهشة والاستنكار، فهل هي أنانية الرجل؟

أم قناعه المرأة ؟

أم أن الاثنان اتحدوا وفي الاتحاد قوة.

لماذا لا ؟

إذا عرفنا لماذا.. فإننا نعرف لماذا تبدو المرأة أكثر إخلاصا من الرجل لشريك واحد،خاصة أن تعدد الأزواج مورس على الأقل في طور من أطوار الاجتماع الإنساني ولدى بعض الشعوب والقبائل أي أنه حصل فيما مضى ولعله حاصل الآن بشكل أو بآخر بصورة "جريمة" لكنه لم يصمد ولم يقدر له الاستمرار والانتشار ولم يصبح قاعدة سويه منذ أن تغير المجتمع وجرت عبر التاريخ تحولات كبيرة وقامت عدة ثورات أدت إلى تغير القانون فانتقلت السلطة للرجل فيما يعرف بالنظام الأبوي مقابل إسقاط الحق الأموي.

وإذا كانت رغبة التقلب أو التعدد لدى الرجل رغبة أصيلة فربما هي كذلك لدى بعض النساء على الأقل ممن شذذن عن القاعدة.

يقول شاعر الحب نزار قباني " أنا رجل يخترف عشق النساء.."

وقد يؤلف كاتب آخر كتابا بعنوان "نساء في حياتي" ويفخر بتاجه الأدبي في حين من غير المقبول اجتماعيا أن تعنون كاتبة ما مؤلفها بعنوان "رجال في حياتي "

هل لأن الأنثى لا تعشق ولا تحترف مهنة العشق الأدبي على الأقل أم لان ثقافتنا الاجتماعية تقمع أي محاول للتمتع بحرية الرجل ومكانته في العشق والهوى.

نعم القلب من التقلب وهو أصل معنى القلب في الوضع اللغوي ولهذا قد يرغب المرء رجلا أو امرأة في التنقل حيث يشاء من الهوى بحثا عن الحب المنشود..

لكن حتما ليس السعيد من يعدد وينوع إنما السعيد من يحظى بشريك يشتاق إليه ولا يمله.

أي أن "رجل واحد يكفي "

ولكن هل من يشاركني الرأي وهل من يقول أن "امرأة واحدة تكفي" !

المرأة الخنفسة ستجيب بحماسة نعم ولم لا..

والمرأة الدجاجة ستهمس بتردد ربما ولكن ..

الرجل الصرصور

لماذا أكتب عن الصرصور ؟

لأنه المخلوق الوحيد الذي يثير الاشمئزاز بقدر ما يستحق الإعجاب ..

وإذا كانت الحشرات في عالم الإنسان غير مرغوبة فان الصرصور على رأس هذه القائمة السوداء رغم أنه مخلوق رقيق ورومانسي إذا ما عرفنا أنه يعشق ويحب أن يتغذى على رموش العين عندما يكون قريب من إنسان نائم أو ميت..

يعني من أذواقهم تعرفوهم ، ودائما ما كنت أقيس احترامي وتقديري لأي مخلوق أو حيوان من خلال معاملته لأنثاه وطريقته في كسب ودها وصرصور الغيط يستخدم صوته في جذب الأنثى والمنافسة على التزاوج على غرار الرجل الدونجوان عندما يلحن كلماته المعسولة ليسرق قلب امرأة .

لا اقصد طبعا المقارنة ما بين الرجل والصرصور، فصدقوا براءتي من هذه التهمة التي حتما ستخطر على بالكم باعتباري قلما مشاغبا ، فمن أحد أسباب حب النساء وأنا منهم للرجال هي الشجاعة التي يملكونها أمام السحالي والصراصير وأحيانا حتى الأفاعي بحكم الذعر الذي ينتابنا من الصراصير أو

(الصرصار) والشعور اللذيذ الذي يجتاحنا عندما يدفع عنا الرجل صرصورا ويقتله في معركة غير متكافئة رغم أن للصرصور أيضا شارب قد يجعل منه سيد الرجال في نظر أنثاه، يعني مخلوق (قبضاي)..

لم لا والشارب قوة وهيبة كما أن أنثى الصرصور تلتقي بالذكر مرة واحدة فقط وتظل تلد طوال حياتها !

مما يدعم الصرصور كمخلوق ذو ذرية لا يمكن قطعها بالمقارنة مع الإنسان الذي يمكن لأي كارثة أن تجعله هشا وعرضه للانقراض خاصة وأن علماء الأحياء يؤكدون بأن البقاء للصرصور كما البقاء للأقوى بل وللأظرف والأكثر مرونة وتكيفا مع ظروف الحياة ذلك لان له إمكانيات عجيبة فهو المخلوق الضرير (بلا عين) ولديه نظام معقد ليتحسس الموجودات التي أمامه ويستطيع ببساطه أن يهرب من الحذاء أو(البف باف) الذي يمكن أن يتفاداه هربا من أول مره ، ثم لا أحد يعرف ما الحكمة من كونه المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن يعيش إذا ما حدثت حرب نووية إذا ما صحت المعلومة.

إلا أن أغرب ميزات أو صفات هذا الصرصور من وجهة نظري هو أن شعوره معنا متبادل فهو أيضا بعد احتكاكه بالإنسان يسارع إلى مخبئه لينظف نفسه !

ورغم ذلك فان هذا المخلوق الصغير الذي يعتقد أنه (نظيف) كان سببا في جريمة قتل زوج لزوجته عندما أحرق الأول الشقة بما فيها من صراصير وزوجه عجزت عن القضاء عليهم ، وربما كانت المسكينة مثلي تعاني عذاب الضمير عندما تضطر لقتل صرصور فلا تفضل هرسه بالحذاء إذ قد لا يموت من أول صفعه غادرة وليس رشه بالمبيد الحشري بالقتل الرحيم فالموت اختناقا يبدو أكثر مرارة ووحشية .

إلا أن أمما أخرى ذات ثقافة مغايره تماما تجاوزتنا وتجاوزت هذا الشعور بالقرف إلى حد استخدام قناع الصراصير كأحدث قناع للحصول على بشره مشدودة والنتيجة مذهلة وسحرية كما يشهدون!

لكل هذا أسألكم أيحق لنا أن نخاف الصرصور أو نكرهه.. أما يجب أن نتصالح مع مواهبه ونستغلها مثلا كما حدث وفعل تلاميذ المدارس الروس في مدينة (بيكاتيرنبورغ) عندما ابتكروا طريقة جديدة للتلاعب بالعلامات (الدرجات) السيئة في شهاداتهم الدراسية باعتماد الصراصير واستخدامها بعد تجويعها وذلك كما ذكرت صحيفة(برافدا) عندما لاحظوا أن الصراصير تلعق الحبر الجاف من على الورق وتزيله من دون أن تترك أي أثر ، ولمحو أي درجة سيئة من الشهادة الدراسية أعزائي التلاميذ يمكنكم وضع قطره من عسل النحل قبل أن يطلق لصرصور جائع العنان كي يلعقها بالكامل ويلعق معها الحبر الجاف المستخدم لتدوين الدرجة دون أن يترك أي أثر

يدل على أن شيئا كان مكتوبا في تلك الخانة ثم يكتب التلميذ الدرجة (العلامة) التي تحلو له قبل تسليم الشهادة إلى والديه.

إذن للصرصور وظائف وفوائد قد نجهلها تماما كان آخرها حسب اقتراح الخبراء ونصائح المشرفين على حديقة حيوان نيويورك إهداءها لمن نحب في مناسبة عيد الحب مع بطاقة دخول مجانية لحديقة الحيوان ولائحة بحقائق حول الصرصور الظريف.

نعم كل شيء ممكن في عالم الحب والمحبين، وكلنا يعلم سياسة أكل الذكور في عالم الحشرات فمن العناكب والعقارب إلى الصراصير والخنافس يتم التهام الذكور بعد عملية التلقيح كنوع من التضحية وتوفير الغذاء للام الحامل وفي حين يتم ذلك طواعية لدى بعض العناكب والعقارب لا يحدث ذلك في عالم الصراصير والخنافس إلا بعد مطاردة مضنية تنتهي غالبا بحصول الأنثى على طعامها!

أي أن الصرصور قد يكون مناور جريء وشجاع ومضحي أيضا..

على عكس الإنسان الذي باتت أنثاه تتمنى رجلا بظرف وأخلاق "صرصور" !!

بومة صباحية

ليس الموت كحقيقة ما يدهشني فقضية الموت قررها سنة الكون رغم إرادتنا وفوق استيعابنا ، وسواء كانت نعمة أم نقمة فان تعاطينا مع هذا الحدث الذي يرافقنا كظلنا في مشوار الحياة يبدو إحدى عجائب الدنيا..

نتعايش مع هذا الحدث رغم جلله وكأنه لن يحدث أبدا!

نتجاهل رهبة الموت وكأنها مؤجلة إلى أجل غير مسمى!

نحلم بالغد وهو مهدد بأن لا يكون.

ننسى أمواتنا بأسرع ما ننسى جروحنا وآلامنا !

ونخطط للعام القادم مع قلب ينبض كبطارية قد تتوقف في أية لحظة.

وكأننا نهرب..

نهرب نحن منه لكن هناك من يفضل الموت كجماعة (محبي الموت) التي تدعو إلى التخلص من الحياة الزائفة بالانتحار بل وتشهد رواجا منقطع النظير !

بل وهناك من يحتفي بهذه المحطة الأخيرة من الحياة كفندق (موكتي بهوان) الذي يرحب في الهند بضيوف يحتضرون ليفارقوا الحياة خلال أسبوعين أو يغادروا المكان.

لا أبدا ..

لست بومة صباحية لاستقبل نهاري المشرق بسيرة الموت وعشاقه بل هي محاولة شجاعة لا أكثر بالتوقف لحظة تأمل في زحمة المشاغل، فقد قال جبران يوما بأن الولادة والموت مظهران من أنبل مظاهر الشجاعة.

وربما كان على حق عندما أكد بأننا إذا فرغنا من حل جميع أسرار الحياة فحتما أننا سنتوق إلى الموت لأنه "سر" من أسرار الحياة.

وإذا كان الموت حقيقة والحقيقة لا تتجزأ فإننا نحيا هذه الحياة بكامل تفاصيلها حتى الوصول إلى الوجه الآخر منها.

نعم مؤلم هذا الموت الغامض ولو أنه حق

نفعل نحن كل ما يحلو لنا في هذه الحياة..

لا ننسى أن نتزوج

لا ننسى أن ننجب الأطفال

لا ننسى أن نأكل ونشرب ونتخاصم

لا ننسى سوى الحقيقة الواحدة التي تؤكد أننا أموات ولو بعد حين

أو نياما إذا ماتوا انتبهوا.

ومع ذلك ورغم كل من مات ممن سبقنا إلا أنه يبقى المفاجأة المفجعة!

بالنسبة لنا مفاجأة !

ولدى آخرون جريمة بموجب القانون !

فقد أصدر منذ مدة عمدة بلدة بيريتيا —ميريم قانون يجعل بموجبه موت السكان أمرا مخالفا للقانون ذلك لأن البلدة التي تتشكل من الأهر ولا يمكن توسيع المدافن أو بناء مدافن إضافية مما دفع السكان إلى الإقبال على النوادي الرياضية وعيادة الأطباء خوفا من الموت الذي يغرم أو يسجن أقاربهم إذا ما حدث!

لكن نصائح المعمرين تأتي مغايره لما يذهب إليه عامة الناس من ممارسة الرياضة وزيارة الأطباء إذ يبوح بعضهم من خلال دراسات أجريت على من بلوا سن المائة عام بان ارتفاع الروح المعنوية والبحث عن أسباب السعادة إحدى أهم العوامل إضافة إلى الإيمان العقائدي .

ومن جانبه يعتقد المعمر الكوبي مارتيترا مثلا أنه وصل إلى سن متقدمة جدا بفضل نظرته المتفائلة للحياة وإخلاصه في التعامل مع أصدقائه إذ أنه لم يلحق الضرر بأحد وبالتالي لم يشعر بالتوتر طيلة حياته المديدة.

لكن يبقى السؤال .. ماذا لو طالت أعمارنا ؟ هل نملها ونتوق إلى الموت بعد أن كنا نخشاه أم أن الحياة كالماء المالح كلما ازددنا منه شربا ازددنا عطشا؟

ترى هل حقا يمل المعمر حياته وينفذ صبره ؟

ما الذي يتغير في حياة الإنسان إذا ما كان خالدا على هذه الأرض ؟

الإجابة صعبة لكن يمكن استغلالها في فيلم من أفلام الخيال العلمي.

زواج الثعالب والوحوش

صحيح أننا لم نقصر نحن النساء في دخول عالم الإجرام من أوسع أبوابه عندما تخصصنا في تقطيـــع الأزواج واســـتخدام أكياس الزبالة السوداء لهذا الغرض إلا أن هـــذه الحـــوادث في عنفها هي ليست إلا ناتج ضغط نفسي عظيم ورد فعل للقهـــر الذي تعيشه الزوجة ، إذ هنا فقط يخون المرأة ذكائها فتلجأ إلى الأساليب البدائية في الانتقام لتخرج بذلك من فصيلة الثعالـــب ويسقط عنها مكرها الذي اشتهرت به وأساليبها التي تعفيهـــا عادة من استخدام العنف واللجوء إلى الإجرام الصريح..

فهل المرأة ثعلبة بالفطرة تم استئسادها؟

وهل يصبح الرجل في المقابل وحشا بالفطرة تم ترويضه ؟

لا أقصد حشر الإنسان في عالم الحيوان فبعيدا عن الصراصير والثعالب اقصد الإشارة إلى الحوادث الغريبة التي تصدمني يوميا في صحفنا ومجلاتنا فما الذي يجعل رجلا يقتلع عـــين زوجتـــه لأنها أخطأت في قرأه طلباته وأعدت له شوربة العدس مثلا ؟

أخبار مخيفة ومفزعه تطل علينا كل عام لأزواج يخرجـــون عن طورهم ويفقدون عقولهم الكبيرة الصغيرة حين يتوقفـــون

عن الطعام أو التدخين فهل هو الطعام أم أنها حالات شاذة وهل تزيد المشاجرات بين الأزواج خلال الشهر الفضيل في حين يقضي آخرون أوقات ممتعه تأتي مع شهر الصيام والإفطار والصلاة؟

ثم إذا كان الجوع كافرا إلى هذا الحد فهل علينا الاعتراف بأنه الدافع الأقوى للصلف والهمجية والبربرية التي يتبناها البعض كرد فعل للحرمان ؟

ترى هل هو الزواج أم المتزوجون أم العصر الذي نعيشه فسادا؟

في كل الأحوال فان ٥٥٠% من المتزوجون لا يعرفون طعم السعادة الزوجية ولن يذوقوا طعم تلك السعادة ما لم يتلقوا علاجا متخصصا ، وهي نتيجة خرجت بها دراسة حوالي ١٥ ألف علاقة زوجية تدق ناقوس الخطر إذا ما فهمنا أن ربع العلاقات الزوجية فقط يقوم على سعادة حقيقية، أما الباقي فيمثل علاقات زوجية يمكن أن تسفر عن سعادة رضا إذا قام أصحابها بجهد حقيقي في سبيل امتلاك المهارات المطلوبة لتعزيز علاقاتهم الزوجية.

فنون كثيرة قد لا يدركها الأزواج يمكن اكتشافها واكتسابها بسهولة من خلال الحوار والتواصل فالمشكلات

تحدث في كل البيوت والأعشاش وحدوثها ليس هو المـــشكلة بل أن عدم حدوثها هو المشكلة بعينها لأنه ينم عن أمر مريب فإما أن يكون أحد الزوجين مقموعا وإما أن تكون العلاقة ميتة في العمق، وفن التعامل مع المشكلات ينطلق من مبدأ التكيـــف بقرار واع وحكيم .

إلا أن بعض الرجال يملكون قناعة راسخة بأن التكيف ليس من واجبهم بل من واجب الطـــرف الآخـــر وهـــي إحـــدى تشوهات الثقافة الذكورية المتضخمة بالذات.

هذه الفئة من الرجال تؤمن ربما إيمانا قاطعا بأن المرأة هـــي التي يجب أن تتكيف وفق مقاييس الزوج ومعاييره وغرائـــزه، وقد توجد نساء أيضا يحملن تلك الفكرة التي يستحيل معهـــا تغيير الذات والتعايش ضمن الحلول الوسط .

إلا أن كل الحلول تبدو عقيمة مع الفئة الخاصة من الأزواج العدوانيين الذين يحولون الزواج من ســـكن ومـــودة إلى إذلال وأذى..

مع هؤلاء لا تجدي مثل هذه الدراسات لان الجريمة لا تأتي إلا من شخصية مريضة ومعتلة.

فهل يفرض واقع الحال أن نطالب بفحص الـــزوجين قبـــل الزواج من الناحية العقلية والنفسية انطلاقا من حقيقة أن هناك

أنواع من الجنون لا يقل خطرا عن الأمراض العضوية التي تستوجب المنع من الزواج.

ليس هذا فقط بل اقترح أيضا أن نسميه اختبار التكيف العقلي..

لا تسخروا..

أليس هذا حلا أفضل من أن نتحول إلى وحوش وثعالب ومن ثم خبرا في جريدة يومية ؟

النصابين ونظرية الحب الأعمى

عندما يسقط إمبراطور اسمه القلب فان هذا لا يحدث كثيرا في الحياة ، ومحظوظ من يقع في هذا الفخ أكثر من مرة وأقصد الفخ العاطفي طبعا فما أكثر مصائد الحياة وما أوفرها.

وهذا الحب الذي لا طعم للحياة بدونه يبدو ذو مزاج صعب لا يأتي بقرار إنما بفعل صدفة أو مشاكسة فيطل علينا برأسه من حيث لا نتوقع ..

يرفض هذا الكائن الخفي الرضوخ لتوقعاتنا وأمانينا مصرا على أن قلب المرأة لؤلؤة تحتاج إلى صياد ماهر وقلب الرجل طبخة تحتاج إلى مقادير مدروسة ونفس في لا يتكرر في مطبخ الفن الأنثوي.

أناقش هنا مفتاح تلك الخلطة العجائبيه التي تصنع الحب في زمن لم ننتظره فيه أو بين طرفي علاقة غير منطقيه ظاهريا ، فهل هناك حقا وصفة سحرية للفوز بقلوب النساء أو نظرية عملية للفوز بقلوب الرجال ؟

ربما ..

لكن بعيدا عن الرجل ومعدته التي بالتأكيد ليست هي كل شيء فان للرجل عين تريد أن تشبع وهو ما لا يخفى على أكثر

النساء بساطه وجهلا ليصبح مفتاح قلب الرجـــل في عرفنـــا الاجتماعي هو جمال وجاذبية الأنثى، أما فيما يخص المرأة فان البعض يعتبر الضحك والمرح هما الطريقان الوحيـــدان لقلبـــها العصي مبررين ذلك بأن الكوميديا أفضل من العضلات ومـــن المال والشكل الجميل فإذا استطعت أن تجعل فتاه تضحك عاليا تكون قد دخلت قلبها!

أكاد أصدق هذه الرؤية فهي نظرية على قدر من الأهميـــة لواقعيتها رغم أن البعض الآخر يعلق الأهمية الأكبر على الكلمة المعسولة وخاصة أنها الأقل كلفة فهـــي حتمـــا لا تحتـــاج إلى الظرف والذكاء وخفة الدم.

وهو السر لا يكاد يخفى على احد والسبب الـــذي يجعـــل النساء يغرمن برجال لا يتمتعون بقدر من الجمـــال والوســـامة والطول حتى أن الأقزام غالبا ما يرتبطون بنساء أكثـــر منـــهم طولا وعرضا..

ترى هل هي عقدة التحدي؟

قد لفتني بشدة تعليق عارضة الأزياء الفاتنة "صوفي داهـــل" التي حرصت على الظهور مع نجم الجاز القزم عندما علقت بأنه لا تزال تتذكر ذلك الرجل الذي لا تكاد قامته تزيد على قامة "كلبه " ولكنه مع ذلك يتميز بالمرح ويطلق النكات التي تجعلها

لا تكف عن الضحك إذ أن هؤلاء مجتهدون للفت أنظار النساء والاستيلاء على قلوبهن ..

أي أنهم يصلون إلى قلوبنا بعرق جبينهم.

وهو ما أغفلته مؤخرا الاستطلاعات التي أجريت وأشارت إلى رأي النساء في مواصفات الرجل الذي يعجبهن لا واقعهن معه.

الواقع يقول أن الحب لا يحسب حساب شيء حتى درجنا على اتهامه بالعمى والحقيقة كما أراها ، أن الحب ليس بأعمى على الإطلاق لكنه محب متسامح يتغاضى عن الأخطاء ويمنح الفرص الكثيرة قبل أن يطردنا من رحمته.

المحبة والحب لا يختلفان عن محبة الله تعالى لنا فالله غفور رحيم بنا لا يطردنا من رحمته إلا بعد أن تتراكم الخطايا بثقلها وعظمتها لتغلب بها كفة الحسنات.

نعم ليس الحب بأعمى أو غبي على الإطلاق..بل هو منتقم جبار سرعان ما يلفظ هؤلاء الذين يعتمدون على غرورهم ويركنون إلى أنانيتهم والى حقيقة أن المحبة عمياء لا ترى أو تنتقي أو تتذوق أو تزهد وترفض.

وإذا كان المال والجمال مفتاح الفاشلين في التمكن من الحب والحفاظ عليه وإذا كان بدوره الاجتهاد والظرف والعطاء مفتاح الأذكياء الناجحين في اصطياده فان الاعتماد

على غباء القلوب العاشقة وحبها الأعمى هو مفتاح النــصابين الدجالين بلا شك. لم لا..

فعندما لا يكون الرجل بطول نخلة أو بقامة كلب أو قطـــة ولا يمتلك أي من المفاتيح السحرية فقد لا يجد ســـبيلا آخـــر سوى الإيمان بنظرية الحب الأعمى باعتباره عاجزا عن رؤيـــة الحقيقة.

الفنجان المقلوب والحب المكتوب

عيناك..

والمطر

وفنجان قهوة وجريدة!

صباح الخير..

يا أجمل قصيدة

لان للمطر والعيون والقصيدة قصة أخرى،

فسأحتفي بفنجان القهوة فأي صباح هذا الذي يخلو من فنجان قهوة كانت عربية أم تركية أم فرنسية الهوى والمذاق، أما لماذا ؟

لان خبرا يقول بأن القهوة مشروب الحب يستحق الاحتفاء فطالما عهدنا فنجان القهوة مشروب سيء السمعة وليس الأرق وضغط الدم وغيره من الأمراض والأعراض إلا بسبب هذا المتهم ثبتت إدانته أم لم تثبت بعد، رغم أن الدراسات الحديثة كشفت القليل أو الكثير من المنافع من احتساء القهوة بأنواعها أو حتى الإدمان على قدر منها .

فهي تنشط المخ وتحفز الطاقة وترفع المعنويات وتخفف أزمات الربو وحدة الألم في العضلات وهي اليوم تصبح مشروب الحب بلا منازع.

لم لا والاستطلاع الذي اجري في ألمانيا خلص إلى أن القهوة مشروب الحب في هذا البلد الذي يفضل فيه الأحباء تناول القهوة في أول موعد غرامي أشار إلى نسبه كبيرة من السيدات بلغت ٧٣٪ يسعدن للذهاب إلى قهوة مميزة عند تلبية دعوة أحد المعجبين .

وبعيدا عن فوائد هذا المشروب الأسود أو مضاره فان للقهوة مكانة اجتماعية في شرقنا الساحر لا يمكن إنكارها وربما هذا ما يفسر انتشار المقاهي منذ القديم في أقدم الأحياء وأحدثها أيضا وما النرجيلة والخيمة الشرقية الأجواء إلا اختراع عربي بحت حتى أخذت أسماء لها دلالات ومناسبات مثل مقهى الفيشاوي الشهير مثلا أو مقهى (ما قل ودل) الذي سمي بهذا الاسم لارتياده من قبل كبار السن الذين أصبحوا خارج الوظيفة وجلوسهم في صمت وكلامهم القليل جدا .

لا عجب إذن أن تصبح للمقاهي نماذج وأهداف كالمقاهي الثقافية التي أصبحت نجمة المهرجانات الثقافة وليست القهوة رفيقة صباحاتنا فحسب بل وأمسياتنا أيضا ..

هي مسمار جحا الذي نعلق عليه حجة السهر والسمر ولقاء الأحبة والأصدقاء والعشاق.

إنها أشهر المشروبات وأكثرها انتشارا على مستوى العالم إذا علمنا أنه يتم استهلاك أكثر من ٤٠٠ مليون فنجان في العام الواحد لتحتل المركز الثاني بعد الزيت في الأهمية والاستهلاك رغم دخولها في قائمة الكماليات، وإذا كانت القهوة مشروب الحب للنساء في ألمانيا فإنها حتما تعني الكثير لهن وترمز إلى ما هو أكثر من المشاركة في احتساء فنجان.

إذ ليس ما هو أكثر من الدعوة على فنجان قهوة غموضا وشبهه فهي الدعوة الوحيدة التي يمكن أن توجهها إلى غريب لم تلتقي به من قبل ومعظم قصص الحب بدأت بفنجان قهوة لنكتشف بعد ذلك أن آخر ما كان يهم هو هذا الفنجان لذا هناك من يعتقد بأن من يصنع القهوة بمزاج هو من يحب ويعشق أيضا بمزاج!

ترى هل يمكن أن يأتي استطلاع كهذا الاستطلاع إذا ما تم تطبيقه علينا بذات النتيجة وهل يعني الأمر لدينا أكثر من مقعد وجريدة وفنجان قهوة مقلوب يعدنا بالأسرار والأخبار؟

رحمك الله يا نزار فكم من قارئة فنجان جلست والخوف بعينيها تتأمل فنجانا "مقلوب"..

وكم حب علينا يا ترى هو المكتوب؟

دعوني أتفلسف

دعوني أتفلسف قليلا.. وأسألكم

ماذا لو جربنا أن نحيا كما لو كنا نحيا آخر أيام حياتنا ؟

ماذا لو تخلينا عن افتراضنا بأنا سنحيى أياما نكون فيها أفضل وأكثر عطاء أو محبة أو انجازا أو تقوى؟

ماذا لو لم يكن هناك غدا أفضل دائما في روزنامة عقولنا ووجداننا ؟

هل كنا سنحيا الحياة بطريقة ربما أكثر حكمة ؟

هل تصبح لحظاتنا أغلى وأثمن من أن تهدر ؟

وهل يبدو هذا الأمل الذي يعدنا بالغد خبيثا إلى الحد الذي يأخذ منا ما منحه إيانا حتى نحيا حياتنا وكأنا لم نحياها أبدا ؟

هب أن لقاءك عزيزي القارئ بأحد أصدقائك أو أفراد أسرتك أو شريكك العاطفي قد يكون لسبب أو لآخر اللقاء الأخير، وماذا لو وضعت في اعتبارك أن أي زيارة نقوم بها لأحبتنا أو أصدقائنا هي بحق ربما تكون الأخيرة.

ترى هل كنا سنفكر ونتصرف بنفس الطريقة ؟

أنا وقلمي وافتراضاتي ولا شيء سوانا..

أستطيع أن أتخيل.. بعيدا عن التشاؤم

لنقل أن الحياة قصيرة إلى هذا الحد هل كنا سنتخلى عن الشكوى أو التذمر أو التأجيل ؟

هل نتخلى عن طموحنا بأن تكون حياتنا مختلفة أو مثالية ؟

هل كنا سنغفر لأصدقائنا ونهتف لأحبائنا لنخطف لحظاتنا معهم عنوة ؟

وهل سيكون هناك من وقت لنعرج إلى تذكر أجمل وأسعد الأوقات أو أتعسها ؟

لا أقصد طبعا ما سنفعله أو ما علينا أن نفعله لو أدركنا لحظاتنا الأخيرة في الحياة، أنما ما أعنيه هو ما نفعله عادة و دائما بسأم في حين أننا نحيا لحظاتنا كما لو أنها صور تذكارية تستحق أن تمنحها الجمال والسحر والروح.

صحيح أنه لا معنى للفلسفة بعيدا عن مغازلتها للحياة وتفاصيلها، فكل نظرة أو رؤية هي بحد ذاتها فلسفة لكننا نبدو وكأننا نحيا لنتفلسف لا نتفلسف لنحيا !

وإذا كان الوقت هو الحياة فاني استطيع تصور حجم الوقت الذي يتم هدره يوميا بلا شيء وللا شيء.

أن نحيا لحظات الحياة على أنها لن تتكرر لسبب أو لآخر، أعتقد أنه افتراض سحري سيضخ الزخم في تفاصيل أوقاتنا

ومشاعرنا بل ونظرتنا للأمور، فنحن الملزمون بإعطـاء الحيـاة معناها وليس العكس.

نحن من يجدر بنا أن نسطو على تفاصيلها ونفترسها بكل ما فيها من أفراح وأحزان..

ماذا لو حدث وكانت المرة الأخيرة؟

آخر مشوار مثلا

آخر يوم عمل فرضا

آخر لقاء ربما

آخر صباح

آخر فنجان قهوة..

أتدرون ،،

قد أشرب قهوتي غدا بلذة صباحية مختلفة

وربما من الغد لن أعشق إلا بفن

أو أغفر إلا بعظمة

سأعمل بشغف

أهدي بسخاء

وأغار بعنف

سأنفخ الحياة في الحياة كما لو أنني أكتب قصيدة شعر على رمل البحر في انتظار موجة جامحة تأخذنا معا..

القلم وأنوثة الورقة

لا اشك للحظة أن المقال يأتي وليد فكرة تطارحنا الغرام ضمن احتفالية شعارها الانفعال الوجداني ، وإذا لم يولد المقال من رحم هذه الأم جاء متطفلا منبوذا كطفل غير شرعي فرض وجوده على مجتمع قراء لم يرحبوا به.

نعم هناك مقالات تبدو كالأطفال الذي ولدوا نتاج علاقة باردة لا شوق فيها أو حرارة ما بين القلم وأنوثة الورقة نسى فيها الكاتب أن يلاطف ويغازل ويقنع هذه البيضاء بأنها الأجمل والأشهى في لحظة تستدعي التفرغ التام لهواها حتى تصبح جاهزة للحب.

تستطيع أن تلمح أطفالا وكأنهم جاءوا إلى الحياة بلا شهية فالأطفال كالمقالات والقصائد التي تأتي زيادة عدد بلا تميز أو جمال..

الكتابة كالتنهيدة لابد أن تخرج حارقة مثقلة مفعمة بالشعور لتنتقل العدوى إلى قارئ يتنهد معنا.

والتنهيدة كالتثاؤب لا تخلو من متعة لهذا يكتب الكاتب مرة تلو الأخرى ليستمتع أولا وان لم يكن هناك من يقرأ،

فماذا عن القارئ إذن ..

هل يتنازل هذا المتلقي عن متعته ..وهل يعاود مشاركتنا إذا لم يتلذذ ويتذوق معنا هذا أطباقنا.

لا أظن..

لماذا ؟

لان المقال ليس بقطعة نثرية محددة الطول تقدم فكرة أو موضوعا جديرا بالمناقشة فحسب،المقال الذكي كالفيلم الذكي يحمل في لغته الإقناع والمتعة معا، خلاف ذلك تسقط صفة الاحتراف عن المقال وكاتبه فالذواقة الجائعين لن يرضوا بوليمة خالية من مكسرات وبهارات إضافية كخفة الروح والأسلوب الأدبي والكلمات المنتقاة بدقة واحتراف.

في مطبخ الإبداع لابد أن نطبخ "بنفس" لنستطيع أن نقدم أفكارا قد لا تكون جديدة لكنها مقر مشه بخلطة مغرية شهية تغريك بالتهامها حتى آخر حرف ونقطة.

هذه الحقيقة لا يدركها سوى الكاتب المحترف الموهوب ولا زالت الكثير من الأقلام تصر حتى اليوم على طرح أفكارا مستهلكة تقدم معلومات نعرفها تمام المعرفة ، فمن منا لا يعرف مثلا ضرورة وأهمية الإحسان للوالدين أو إتباع الإرشادات المرورية ومراعاة الآداب العامة إلا من شاء غير ذلك.

من ذا القارئ الذي تجاوز مراحله التعليمة أو المثقف الذي يبحث عما يضيف ويثري ويمتع ويدهش الذي يمكن أن يقبل

على قرأه درس في الأخلاق بطريقة مبسطة وكأنه درس ضمن أحد المناهج الدراسية في الصفوف الأولى.

بعض الأقلام تجتر من براد الذاكرة أفكارا مثلجة لا يمكن طرحها ساخنة إلا إذا أعيد طبخها مجددا ومن ثم قدمت طازجة شهية.

تقول أحلام مستغانمي ..

"الروايات الفاشلة ليست سوى جرائم فاشلة لابد أن تسحب من أصحابها رخصة القلم بحجة أنهم لا يحسنون استعمال الكلمات وقد يقتلون خطأ بها أي احد.. بمن في ذلك أنفسهم بعدما يكونون قد قتلوا القراء... ضجرا "

فإذا كانت الروايات الفاشلة هي جرائم فاشلة، فان المقالات والقصائد هي طلقات نارية فارغة في الهواء،..

يعني يا حرام "فشنج"(تدوش ولا تصيب).

لماذا نعشق الرجل الذئب ؟

كلما خطونا صوب الحضارة خطوة جديدة فإننا حتما نخطو نحو هيمنة المرأة خطوة مماثلة ، فالمستوى الحضاري هو الذي يحدد موقع السيادة والسلطة وكلما اقتربنا من مراكز المدن الأكثر تحضرا وجدناها تقوم على وحدة الفرد الذي يتمتع بكيان حر مستقل بينما يقوم النموذج الثاني في المدن الريفية مثلا على وحدة الأسرة حيث توجد سلطة الأب المركزية التي تحدد لوحدها أسلوب حياة الآخرين وحجم الحرية التي يحق لهم التمتع بها.

لكن هذه الحضارة التي تزحف إلى حياتنا بسرعة الصاروخ في مظاهرها المختلفة تغدو في المجال النسوي بطيئة كالسلحفاة في مجتمعات تدرك الحقوق وتستعرضها لكنها لا تسن التشريعات التي تضمن هذه الحقوق.

أما الأسباب .. فان أحدها مكشوف ومفهوم يتعلق بالثقافة الاجتماعية السائدة ، الرجل ليس وحده أسيرها إنما المرأة شريكته أيضا.

أما السبب الآخر المتخفي فهو خاص بالمرأة وتركيبتها السيكولوجية أو النفسية وما يتعلق برغباتها وذوقها الخاص،

سبب تتكتم عليه هذه الأنثى ذات الوجوه المتناقضة خبثا أو خجلا أو تغابيا ..

فغالبا ما تشكو المرأة تسلط الرجل وهيمنته ... فهو المخلوق الغليظ، فظ القلب، صعب المراس ،

لكنها تتزوج هذا الرجل ؟

هذا المخلوق الذئب الذي يمثل نسبة كبيرة من أزواجنا المتسلطين أو الديكتاتوريين أو المجرمين أحيانا ..

لماذا تتزوج المجرم أو الطاغية كما فعلت زوجة صدام حسين وما زالت تدافع عنه ؟

ولماذا تركت زينيا كينغ الأم ذات الواحد وثلاثون عاما زوجها لتتزوج من مجرم مدان بجريمة قتل وينتظر تنفيذ حكم الإعدام عليه ؟

وما هي فلسفتها في قبول ما ترفضه علنا في خطابها النسوي؟

لماذا حظي أشهر الطغاة عبر التاريخ بأفضل الزوجات وأكثرهن عددا و لم يتعارض ذلك مع سيرهم أو طبيعتهم القاسية ؟

ثم كيف تجمع المرأة وهي الكائن الرقيق الشفاف والمسالم بين طبيعتها تلك والاتحاد أو الارتباط أو العيش مع رجل ذئب أو فظ مثلا؟

هل يصعب على المرأة حقا تحطيم قيودها أو خلع موروثاتها الثقافية السائدة كما تخلع ثوبها القديم؟

لا أظن ..

الواضح أنه من الصعب جدا عليها معاندة تكوينها السيكولوجي الذي يعتمد في أولويته الفطرية على اختيار عنصر القوة والسلطة كمطلب أول وأساسي لدى المرأة من الرجل فارس أحلامها ..

تلك القوة تتجسد بمظاهر شتى كقوة المال أو السلطة أو الوجاهة الاجتماعية أو القوة الجسدية في حين لا يطيقها الرجل في أنثاه.

إن النزعة (الماسوشية) لدى الأنثى تبدو وكأنها تدفعها لا شعوريا إلى عبادة القوة أو حب الألم المتأصل في شخصيتها وكيانها فهي تؤسس له بالحمل والإنجاب والتضحية لتشبع حاجاتها العميقة للخضوع والتبعية والتلذذ بآلامها .

وفي معظم الأحوال لا تضع المرأة القيم الأخلاقية في مقدمة شروطها في فارس الأحلام أمام القوة التي تجسد الرجولة، تماما كما لا يضعها الرجل في مقدمة شروطه أمام جاذبية المرأة وجمالها وضعفها الأنثوي!

المرعب حقا .. إن المرأة تقبل الزواج من رجل متسلط ظالم بل وتدافع عنه في الوقت الذي تشكو فيه حالها البائس كمواطنة من الدرجة الثانية !

فهل تبدو المرأة فعلا كالظل .. إذا تبعته يهرب منك وإذا تركته يتبعك ؟

في النهاية .. أذكركم بحقيقة تاريخية تقول أن المرأة كانت هي الأقوى .. فقد كانت قديما الآلهة .. الأنثى .. التي يعبدونها من خلال فكرة الخصب قبل أن يبدأ العهد الأبوي مع بداية اكتشاف ألزراعه وحاجة الأرض لليد العاملة.

فهل ولدت المرأة .." الأنثى التي نعرفها اليوم، أم أن المجتمع جعلها كذلك "؟

كما قالت سيمون دي بفوار قبل ٥٥ عاما .

وبالمقابل .. "هل ولد الرجل ذئبا ، أم أننا من جعله كذلك"؟

كما أقول أنا اليوم.

انسبوا أبنائكم إلى أمهاتهم

هل لديكم شك بأن الجنة تحت أقدام الأمهات ؟

وهل نختلف على أن فضل الأم على أبنائها أكبر من فضل الأب؟

وهل منا من لا يحفظ الوصية " أمك .. ثم أمك .. ثم أمك.. ثم أباك" ؟

برغم كل ذلك ..

قوبل خبر القانون الجديد الذي طبق للمرة الأولى في فرنسا ويعطي الأم مثل الأب الحق في إعطاء اسمها للمولود ليحمل الاسمين معا (اسم الأب واسم الأم) باستهجان ونشر إلى جانبه علامة استفهام (!)..

مع أن المولود سوف يحمل اسم والديه معا.

هذا القانون الذي جاء ليلغي القانون القديم المعترف به عند العصور الوسطى والذي يحتم إعطاء المولود اسم أبيه فقط وان تعددت الأمهات حظي بتأييد نسبه كبيرة في استفتاء أجرته مجلة (جينيا لوجي) الفرنسية، مما يعكس تقبل المجتمع الفرنسي الذي لم يواجه الفكرة أو القضية بالاستهجان والاستنكار.

يحدث هذا في الوقت الذي تواجه فيه مجتمعاتنا التي لا زالت في بعض فئاتها تخجل من التصريح باسم الزوجة أو الأم باعتباره

عورة مشاكلها وقضاياها بأسلوب متحجر جامد كما حدث في قضية هند والفيشاوي وابنتهما لينا التي خرجت إلى الحياة بعد فضيحة مدوية كانت في غنى عنها لكنه الإصرار الغريب على استجداء أو انتزاع اسم الأب حتى وان لم يكن يستحقه أو يريده، وهي لم تكن إلا واحدة كما كثير من القضايا التي تفضح عورات النظام الطبقي الأبوي بشكل صارخ.

إذا كان نسب الولد يثبت من أبيه بالفراش أو الإقرار أو البينة، فان نسب الولد من أمه يثبت بمجرد ولادته إلا أننا مستعدون دوما لان نغفر للوالد حتى سؤ أخلاقه في سبيل تصدقه بالاعتراف بهذا النسب وكأن الأم بلا نسب يذكر أو يكفي لحل المشكلة مؤقتا إلى أن يتم إثبات نسب الأب.

تاريخيا.. وقبل أن يثبت النظام الطبقي الأبوي أقدامه على الأرض كان هناك من الإعلام الكثيرين ممن نسب إلى أمه دون حرج أو استنكار فأمير العراق (المنذر بن ماء السماء) في عصر المناذرة قبل الإسلام كان نسبه إلى أمه "ماء السماء"

والشاعر الرماح ابن ميادة المري نسب إلى أمه ميادة وكانت فارسية فيقال (الرماح بن ميادة)، كان من الشعراء المخضرمين في الدولتين الأموية والعباسية.

كذلك محمد بن علي بن أبي طالب كان ينسب إلى أمه "الحنفية" فيقال (محمد ابن الحنفيه) ... الخ

ويبقى المسمار الأخير الذي يتكئ عليه معظمنا في حالة تعدد الزوجات وهي حالة يفترض أنها خاصة وليست للعموم، فإننا إذا ما قبلنا بها في عصرنا هذا فان ذلك سيبرر للمرأة مستقبلا تعدد الأزواج بعد اكتشاف فحص (دي .ان. ايه) للمولود الذي لم يكن معروفا في أزمان سابقه، من منطلق أن ظروف ما قبل ١٤ قرنا تختلف عن ظروفنا الحالية التي تتطور وتتغير باستمرار.

يقول "البرت اينشتاين".. "المشاكل الموجودة في العالم اليوم لا يمكن أن تحلها عقول خلقتها"

وأحيانا لا نحتاج لأكثر من ثلاثة دقائق لكي نتخلى عن قناعاتنا.. لكن كيف ومتى ؟

طبعا لا أتوقع الحل لكثير من مشاكلنا المعلقة لأننا نريدها كذلك.. إنما بعضنا فقط يهوى إلقاء الحجر في المياه الراكدة ليس إلا...

وأنا منهم.

أنا وقلبي والشيطان

لا أتصور مبدعا إلا وقد خرج من رحم التساؤل وتكلل بروح السؤال، فليس سوى الأسئلة هي التي أدت بكبار الفلاسفة والعلماء إلى اكتشافاتهم.

وهو مجرد سؤال ..

يبدو مطروحا إذا ما سحبنا بساط الثقة العمياء من تحت أقدام التاريخ ونزعنا أختام القدسية عن بعض رموزنا وأفكارنا المتوارثة..

فهل تشعر عزيزي القارئ بوجود ظل الأنا الآخر بداخلك.. أو تعتقد بوجود شيطان في حياتك ؟

وهل اخترعنا هذا الشيطان حتى نلبسه شرورنا أم أن هذا المخلوق واقعي يقف لنا بالمرصاد أينما ذهبنا ومهما فعلنا ؟

يبدو السؤال شيطانيا .. نعم ربما

فأنا وقلبي وشيطان أسئلتي نتصارع ونتحاور ونكتب أيضا..

أما لماذا قلبي فلأنه يعبث بعواطفي.. ولماذا الشيطان فلأنه يعبث هو الآخر بعقلي، أما أنا فانزل من موجة لأركب الأخرى في بحور الحواس والأفكار المتلاطمة.

وبينما تتراقص في أعماقنا آلاف الشياطين.. شياطين الأفكار والرغبات والأسئلة فإننا نصر بدوافعنا المشبوهة خوفا من المشاعر السلبية التي يجرها الندم وتعشش كالخفافيش في ظلمات أعماقنا بأن هناك من يوسوس لنا ..

هي حيلة نلقي بها باللائمة على شخوص غيرنا وأفكار لا صلة لها بعقولنا ووساوس ليس مصدرها صدورنا !

إذن هو .. الشيطان وحده المسئول عن نوازع الشر في النفوس!

هو ما يدفعنا لان نفعل ما نريد ونشتهي .. ويعقد العزم على ما نخطط وأيضا يتحمل مسئولية أفعالنا وبشاعتنا تلك.

هذا الشيطان نرجمه حتى لا نرجم جانب الشر في نفوسنا ونلعنه حتى لا نلعن منطقنا المغلوط ، ليس هو سوى الآخر أو الآخرون الذين يسكنونا ويتقاسمون معنا مشاعرنا ورغباتنا المتناقضة

تجتمع في عشرات الرغبات والأفكار في شـــخص واحـــد وإرادة واحدة.

لكن.. من هو المسئول عن الجيد والخبيث منها ؟

وكيف نتعامل مع هذه الذات المتعددة ؟

في الحضارة المصرية القديمة كان الآلهة (ست) يمثل قوة الشر فقدم المصريون قرابينهم إليه اتقاء لشره!

أما نحن فنبدو وكأننا نفعل ذلك مجددا لنتقي شـــر أنفـــسنا فأعطينا هذا الشيطان الوهمي ما يريد ونريد مقابل أن يتحمـــل خطايانا ويلبس شرورنا ومساوئنا.

كم مرة كررنا ونكرر.." إنها وسوسة شيطان "

كم هو ملعون هذا الشيطان ..

وكم نحن مغفلون.

سؤال ..

جوابه يقدر بالملايين !

رائع هو حجم التطور العلمي الطبي في كل لحظة وثانية يدهشنا باكتشاف جديد، يفتح معه آفاق جديدة من الاكتشافات ويدفعنا إلى التفاؤل والأمل لربما كنا من أجيال المستفيدين من بعضها مستقبلا..

لكن بعض هذه الاكتشافات الطبية لا تبدو بريئة في أهدافها التي تصب في نتائج تثير قضايا فكرية وفلسفية عظيمة.

إحدى أهم وآخر هذه الأبحاث التي أثبتها فريق علمي من جامعة جنوب كاليفورنيا تقول أن الكذابين يمتلكون أدمغة ذات بنية خاصة تختلف عن الصادقين تجعلهم غير قادرين على كبح أو لجم أنفسهم عن الكذب من خلايا عصبية مرتبطة بعملية الكبح أو التثبيط عن فعل أمر ما !

اكتشاف طبي كهذا لا يمكن أن يمر مرور الكرام رغم أنه قد لا يعني للكثيرين كونه لا يقدم لهم خدمة طبية مباشرة بقدر ما يقدم تحليل علمي لبعض سلوكيات الإنسان الطبيعية والمنحرفة.

وأذكر خبرا علميا سابقا لعالم بريطاني كان قد اكتشف أن هناك جين وراثي يتحكم في صفة الخيانة الزوجية مع عدم نسيان العوامل الاجتماعية طبعا..

ونحن الذين قد سبقناه منذ زمن بعيد عندما ألصقنا صفة الخيانة الفطرية ببعض الشعوب أو الطوائف كالأكراد واليهود، كما ليس اهام المرأة للرجل بأنه كائن خائن فطريا سوى دليل ربما على حدس المرأة واكتشافاتها الأنثوية المتطورة من خلال خبرتها الحياتية البحتة خارج جدران المختبرات ومراكز البحوث..

إلا أن ما يتبع هذه الاكتشافات المتعلقة بالصفات الوراثية للإنسان هو احتمالات القضاء على الأمراض والصفات أو الموروثات غير المرغوبة من خلال سحبها من الخلية الإنسانية واستنساخ إنسان خالي من أي خلل صحي أو أخلاقي في ثورة علمية أكبر ستفرض نفسها على العالم وتقود إلى انقلابا اجتماعيا وأخلاقيا وربما يقود إلى عالم أكثر صحة وسلاما !

ما ينطبق على الميل إلى الكذب أو الخيانة بشكل فطري أو لأسباب جينية ينطبق بالتأكيد على باقي الصفات أو السلوكيات كالعنف والإجرام والذكاء والغباء وغيرها الكثير..

لكن إذا كان لكل شيء حكمة في هذه الحياة، فما هي الحكمة من وجود الأشخاص الخائنين أو الكذابين بالفطرة بيننا وهم من يدفعون ثمن سقطاتهم الاجتماعية والأخلاقية ؟

وهل يتوجب علينا أن نعذرهم بدلا أن نحاسبهم ؟

أو نغفر لهم زلاتهم لان آخر الاكتشافات الطبية تؤكد أنها ليست كذلك لكنها آفة طبيعية لا ذنب لهم فيها وسيبقون كذلك إلى ما شاء الله إذا بقوا بدون علاج أو تدخل جيني ؟

الحقيقية أنني إلى اللحظة الأخيرة كنت على يقين بأن الفضل لي وحدي في صدقي ووفائي وربما ذكائي ودهائي أيضا ..

لكن وبعد أن تحول يقيني إلى شك .. هل من يعيده إلي ؟

مجرد سؤال ؟

"جوابه يقدر بالملايين"

لمن الكلمة الأخيرة ؟

قديما كان أجدادنا يقولون "لكل طنجرة غطاها "

وبقدر ما كان عجائزنا يتمتعون بعفوية لم يحددوا من هي الطنجرة ومن هو الغطاء.

ليس البعض بل كثيرون من هم حريصون على أن تصبح قضية المرأة اسطوانة قديمة لا داعي لتكرارها، إذ هناك إرادة مسبقة في ذهنية الرجل الشرقي للرفض والتمسك بزمن الأجداد، لكن المشكلة الأخطر لا تكمن في العوائق بل في وعي النساء أنفسهن في الوطن العربي والذي يبدو متدنيا ودورهن الذي لا يزال مهمشا على الرغم من أن قضية المرأة هي قضية عامة لا تعني فئة معينة أو جنس دون سواه، إنها قضية مجتمع والمرأة الزوجة شريك كما أن الزواج ليس مركبا يعج بركابه ويمسك بدفته قبطان متفرد بقراراته.

الحياة الزوجية مشاركة بين طرفي العلاقة التي تقوم على التكافؤ والندية إلا أنه رغم هذه المعلومة البديهية إلا أننا لا نزال نفاجئ بالمواقف المحسومة لصالح الرجل ومن قبل النساء أنفسهن.

بدا هذا واضحا من خلال السؤال الذي طرحته المذيعة المتألقة ذهبية حابي في برنامجها (زوايا) الذي كان يبث على

الهواء مباشرة على الفضائية القطرية حول الكلمة الأخيرة.. هل هي للزوج أم الزوجة ؟ولمن حـــق اتخـــاذ القـــرار في حـــال الاختلاف؟

جاءت الإجابات من المشاهدين رجالا ونساء يؤكدون أن الموضوع محسوم من زمن بعيد وأن الكلمة الأخـــيرة للرجـــل باعتباره رب الأسرة وقائدها..

ولكن ..

أقول ولكن .. هذا القائد ورب الأسرة كان دائما منفـــردا بقراراته الأسرية لزمن طويل باعتباره مسئولا قواما عليها بمـــا انفق واليوم أصبحنا في عصر تشارك المرأة فيـــه بالإنفـــاق إلى جانب مسئولياتها الأخرى التي عظمت وأدوارها التي تعـــددت وتغيرت في الوقت الذي يقف فيه زمننا مكانه فالرجـــل ســـيد العلاقة وما زالت العلاقة تبدو وكأنها بين رئيس ومرءوس!

إذا كان هناك كلمة أخيره فان استخدام المرأة لهذا الحق ولو لمرة واحدة يعتبر اهانة عظيمة في حق الزوج في الوقت الـــذي تعطي فيه المرأة لزوجها حق الكلمة الأخيرة لمرات ومـــرات لم تشعر معها بالإهانة والدونية !

الواقع يقول بضرورة الكلمة الأخيرة في حال الاختلاف في وجهات النظر في موضوع ما يخص هذه الأسرة التي يؤســـسها الزوجين معا .. فلماذا لم يكـــن تبـــادل التنـــازلات والأدوار مطروحا كفكرة تستحق النقاش؟

ولمن الكلمة الأخيرة؟

لماذا يراها معظمنا للزوج وان كان بشرا يخطئ ؟

لماذا يراها معظمنا للزوج وان كان اقل حكمة أحيانا أو اقل ثقافة أو ذكاء ؟

لماذا يراها معظمنا للزوج وان كان من أصحاب الشخصيات الضعيفة التي تحتاج إلى شريك قيادي ثم ليحدث هذا تلقائيا و بتواطؤ حرصا على كرامة الزوج ؟

لماذا تضطر الزوجة لاستخدام الحيل الأنثوية إذا ما شعرت بالغبن والقهر وعدم الجدوى ؟

ولماذا لا يقبل الرجل على إعطاء المرأة الكلمة الأخيرة إلا من تحت الطاولة ؟

لماذا نصر على أن الكلمة الأخيرة حقا موروثا وليس مكتسبا، وان المرأة تابعا لا شريكا حقيقيا ؟

لماذا نحن شعوب لا تواجه الحقيقة ولا تحب الصراحة ولا تطيق التغيير ؟

لماذا ؟

أجيبوني.

تحت السطر:

(تسلك المرأة طريق العبيد، لتسود الرجل .. ويسلك الرجل طريق الأسياد، لتستعبده المرأة ..)

جبران خليل جبران

فكر وتكتك قبل أن تنطح

للحياة حيلا إحداها المناورة، ربما حرصا منها على أن تكون كالمرأة.. إن فهمتها فقدت اهتمامك بها.

ثم هذه الأنثى لا تحب ولا تقبل إلا على المناور الذكي المحترف..

فهل تؤهلنا شهاداتنا العلمية أو تربيتنا الدينية والأخلاقية لهذا الشرف وتجنب ضرباتها التكتيكية ؟

هل الحياة فن أم هي علم وأخلاق؟

وإذا كان الفن في تعريفه ليس سوى الإتقان فحتما كلنا يستطيع أن يصنع باقة من الأزهار لكن ليس كلنا يتقن ترتيبها ويبدع في تهذيب أغصانها وأوراقها..

ألهذا درجنا على القول بأن الحياة مدرسة ؟

لتعلمنا ما فاتنا في الصغر من علم يصعب فيما بعد نقشه على حجر!

عادة ما نخرج من المدارس التعليمية إلى مدرسة الحياة الأكبر بحثا عن مفاتيح نجاح لم نسمع عنها أو نصادفها في بطون الكتب وقاعات الدراسة.

الحياة فن، وهذا الفن أهم من فن الرسم والطبخ العزف..

هي لعبة لا يحترف ممارستها إلا من تعلم مهارة اللعب بخيوط عرائس الأيام والأحداث.

هذه حقيقة ..

فكم طبيب للقلب يحتاج إلى من يعالج له أوجاع قلبه العاطفية!

وكم من مهندس يحتاج إلى من يصمم له هندسة علاقاته الاجتماعية !

وكم من حامل لشهادة الدكتوراه يستجدي من الحياة شهادة خبرة !

من منا لم يبحث عن السعادة وهي ليست إلا حرفة ؟

من منا لم ينتظر من الحظ أن يبتسم له وهو ليس إلا خرافة؟

ببساطة..

لماذا نتجاهل تدريس السعادة كفن وتلقين أساليب الذكاء الاجتماعي كعلم لا يقل أهمية عن باقي العلوم والفنون والخبرات ؟

ومتى ننتبه إلى خطورة الهوة الواسعة التي تفصل ما بين قيمنا وأخلاقنا وبين الواقع الاجتماعي الذي يتلقف أبنائنا حال خروجهم للحياة العملية ؟

في حدث سابق أثارت هذه المسألة اهتمام بعض المدرسين في ألمانيا مما جعلهم يفكرون بطريقة تجعلهم يعلمون الشباب كيفية تحقيق السعادة لذلك اتجهت مدرسة (فيلبي هليباخ) وهي إحدى الكليات الصغيرة في ألمانيا إلى تجربة تعليم الشباب في سن المراهقة ممن يستعدون لاجتياز امتحانات القبول في الجامعة كيفية تحقيق السعادة وصنعها..

مادة السعادة هذه تحولت إلى هدف هلامي يصعب الوصول إليه في حين هي في الأغلب أحد فنون الحياة.

لماذا ؟

لأننا نعلم أبنائنا الصدق ولا نعلمهم كيفية التعامل مع الكذب والكذابين!

نعلمهم الأمانة والإخلاص كقيمة ولا نحصنهم من الغدر والخيانة والخداع؟

نقنعهم بأن لكل مجتهد نصيب مع أن للحياة رأي آخر أحيانا، في مجتمع الواسطة والمحسوبية.

إن سلاح العلم والأخلاق وحده لا يؤمن لنا حظا وافرا من النجاح في علاقاتنا الاجتماعية في مجتمع يعاني من شيزوفرانيا أخلاقيه .

كيف يمكن لمعركة أن تكون متكافئة ما بين معلم وتلميذ في مدرسة الحياة؟

وحده فن الحياة يجنبنا بؤس الأسئلة الغبية من نوع.. لماذا لم يحالفني الحظ ؟

لماذا لم تحبني ؟

لماذا لم أكن يوما سعيدا ؟

لماذا نحن بلا أصدقاء ؟

ولمن لا يعرف فان الحب الحقيقي مثلا هو في الواقع أن تحب الشخص الوحيد القادر على أن يجعلك تعيسا!

والحظ هو أيضا ذاك الكائن الزئبقي العجيب القادر على تبرير تفوق الآخرين علينا!

ترى ما الحكمة ؟

ربما لأن جزء من متعتنا يكمن في أن نجرب أن نفعل المستحيل..

"المستحيل " الذي تلوح لنا به الحياة كشريط أحمر في حلبة مصارعة.

أقول ربما...

وأصر على الادعاء بأن الحياة أنثى مشاكسة عنيده لا تقبل بمن هو أقل منها ذكاء واحترافا ومناورة على أمل العثور على ثور ذكي يفكر ويتكتك قبل أن ينطح.

لا مناورات عاطفية بعد الآن ..

ماذا لو كانت عروسك المستقبلية دمية بخيط مشدود بحبل ؟ وماذا تريدها أو تتوقع منها أن تقول لك إذا ما شددت هـذا الحبل ؟

هذا السؤال الذي طرحه دكتور فيل في إحدى حلقات برنامجه الشهير على الشركاء من الرجال بهدف ترجمة الإجابات إلى ما يعكس الذوق الشخصي الذي يريده في نموذج الأنثى الذي يتمناه كل منهم.

ليس فقط الإجابات التي جاءت مختلفة مع ما أجابت بـه لاحقا شريكاتهم وإنما كل ما أجاب به هؤلاء حول ما يزعجهم في شريكاتهم أو يزعج شريكاتهم في أنفسهن، فقال أحدهم أنه يتوقع من الدمية أن تقول له "أحبك" فيما توقع الآخرون إجابات مختلفة ومتناقضة..

الهدف طبعا ليس اللعب على الألفاظ والأفكار ولكن كشف مدى الاختلاف وعمق التفاهم والانسجام بين الشركاء المقبلين على الزواج قريبا .

أكثر ما يمتع ويثير الدهشة هو نظرات التعجب وملامح الصدمة التي بدت على زوجات المستقبل حين طرح عليهن

السؤال نفسه إذ لم تكن تعرف كل منهن أن شريكها يفكـــر بهذه الطريقة أو يتوقع منها ما لم تستطع التكهن به ؟

فهل علينا أن نتوقع من الآخر ما نريـــده أو ننتظـــره.. أم نطلب منه ما يجب أن يفعل أو ما عليه أن يفكر به ؟

هذا السؤال ليس مهما فقط بل هو أساسي للغاية في ضمان استمرارية العلاقات أو ديمومتها ..

واقعيا لا يدرك الرجل حقا ما تحتاجه المرأة ولا تعرف المرأة ما يتوقعه الرجل منها ؟

ثم هل يفكر الاثنان مليا في هذا الأمر ؟

في الأغلب لا ..

ذلك لأننا نكثر من العشم في قدرات الآخر ونعتمد علـــى الحب وحده في حل مشاكلنا معه وعلى الأوهـــام وحـــدها في فرش الطرق المعبدة بسعادتنا المأمولة.

لكن إذا كان جوهر المشكلة العالقـــة يكمـــن في انغـــلاق الإنسان على ذاته وصعوبة التواصل مع الآخر فان الاختراعات التي تتوالى في مجال خدمة العلاقات الإنسانية تمخـــضت عـــن ابتكارات مذهلة ومثيرة كسماعة قياس المشاعر الـــذي يمكـــن الأزواج من استغلاله بعد تطويره حيث أثبتـــت الاختبـــارات تمكنه في ٩٠% من الحالات من تحديد مشاعر الناس بـــشكل

صحيح، آما الاختراع الأكثر خطورة علـــى حيـــاة الأزواج ويتمثل في انجاز علمي يساعد على منع خيانـــة الأزواج بــــــ الريموت كنترول وهو عبارة عن جهاز سحري صغير يتم زرعه في الرجل ويعتمد على مبـــدأ التـــشغيل (On) والإيقـــاف (Off) تتحكم به الزوجة فقط بعد برمجته أو تشغيله بطريقة البصمة الصوتية !

بعد اختراع جهاز كشف الكذب لا شيء بات مـــستحيلا أو غير ممكنا.

فهل جنى الرجال على أنفسهم لتصبح مشاعرهم وممارساتهم معلبة ومبرمجة ولا إرادية ..

وهل يمكن القول أنه لا مناورات عاطفية أو خيانات زوجية بعد الآن ..

ثم هل يضع العالم نفسه على أعتاب ثورة علمية أقل ما يقال عنها أنها ستغير مجرى حياة البشر على هذا الكوكب ؟

هل نحن مستعدون لقراءة ما يدور في رؤوس الآخرين ؟

وهل نترحم على أيام كنا نعتمد على بـــصيرتنا وشـــفافيتنا ونتمتع بخصوصيتنا، ونمشي ونحب على عمانا ؟

هل نترحم على أيام كنا نستمتع بحيرتنا وعذاباتنا ونستنجد بأوراق الورد المتساقطة مرددين: يحبني ..

لا يحبني

يحبني

لا يحبني

إذن لا يحبني !!

فجورا ثقافيا ! !

ما الفرق بين الممنوع والمسموح في عالم تتعدد فيـه القـيم والثقافات وتختلف النظرة إلى الصواب والخطأ أو الخير والشر ؟

متى يصبح الفعل خطيئة ؟ ومتى نغفرها؟

ثم من قال أن المرأة أكثر عاطفة أو هشاشة أو ضـعفا مـن الرجل؟

الجميع يقول .. وثقافتنا العربية وجانـب مـن موروثـنا الذكوري البالي يؤيد ويكرس هذه القاعدة المحسومة سلفا .

أنا افجر قنبلة .. نعم

وأعرف أن أكثر من ٩٩٪ يقرون بهذه المعلومة أو الحقيقة "البديهية" ويعتبرونها مؤكدة وعلى أساسها يتم تغييب وإقصاء المرأة عن المساهمة في صنع القوانين والقرارات السياسية وتقاسم السلطة بالتساوي مع الرجل، رغم أن وحشية الرجل بحاجـة دائما إلى ترويضها من قبلها والكثير من الحروب والكوارث ما كانت لتحصل لو كان الأمر بيد النساء ولعاشت البشرية بحال أفضل وواقع أكثر إنسانية.

علما بأني لا أمانع من تكون المرأة ذلك "الكائن العـاطفي الرقيق الضعيف" ولا بأس بذلك إن كانت الأعراف والتقاليـد

والقيم والقوانين المعمول بها تنسجم مع هــذه المعلومــة الــتي نعتبرها حقيقة ويقرها المجتمع بأسره..

لا بأس إن كان كل ما يحدث في الواقع يتطابق مع طبيعــة العاطفة الغالبة لدى المرأة حتى لا نكون مــصابين بانفــصام في الشخصية على الأقل، لكن يحدث أن هذه النظرية التي يروج لها المجتمع تطبق بشكل عكسي تماما، فالمرأة عاطفية البنية نظريــا لكننا نطالبها بالقوة والحنكة و برجاحة العقل تطبيقيا..

في الوقت ذاته الذي نسمح فيه للرجــل المتعقــل القــوي بالمناورة والتسيب بحجة الغريزة والعاطفة !

كيف ؟

وهل حقا كتب على الرجال أن يخونوا زوجاتهم وحبيباتهم في لحظة ضعف من النوع الثقيل ؟

ألهذا نطالب المرأة برجاحة العقل وضبط العاطفة أو حــتى التجرد منها لصالح عاطفة الرجل وغرائزه ؟

ولهذا السبب أيضا تغفر النساء الخيانة ؟ ثم لا تنساها !

ألاننا ببساطة نؤمن إيمانا قاطعا بأن المرأة تتحمــل خيانــة الزوج بالقليل من الضرر والدموع ، ثم تنسى كل شيء وتتعود وتتغاضى.

طبعا لا يتساوى الجنسان في اللعب على الحبال إلا أن المرأة الخائنة تدرك مسبقا أنها تستحق القتل وأن المجتمع بأكمله سيتولى حسابها ويتكفل بالعقوبة الجماعية !

ونحن نفعل ذلك لأننا عمليا نعامل المرأة على عكس ما نسقطه عليها من صفات تعكس سمات العاطفة والرقة والضعف..

في حين نغفر لمن يمتلك رجاحة العقل والجلد والقوة سقطاته ونزواته ونعتبرها "لحظة ضعف" أو "نزوة".

نستوعب الرجل ونبرر له رغم رجاحة عقله وتكوينه الذي يفترض أنه يمنحه السيادة على العاطفة !

فلا رجل يقتل في جريمة شرف أبدا !!

إلا أن هذا ما يحدث لها رغم سيادة عاطفتها !

إذن .. هي لحظة شقاوة وطيش شباب ليس إلا ..

يصبح الرجل طفل صغير قاصر العقل عديم المسئولية لأننا ببساطة لا نريد محاكمته !

ألا تبدو "عاطفية المرأة " و "عقلانية الرجل" شماعة نعلق عليها التقهقر الاجتماعي والفكري الذي نعيشه وبقناعة نحسد عليها!

ثم ألا يبدو هذا فجورا ثقافيا !!

الختــان

جراحة مبررة تبحث عن مرض

الختان أحد أهم الجرائم الكبرى التي ترتكب في حق المرأة قبل أن تدخل عالم الأنوثة ، يحدث هذا رغم أن مضاره الطبية والاجتماعية لم تكن لتحتاج أبحاث ودراسات كثيرة كالتي خاضتها د نوال السعداوي في منتصف القرن الماضي وتمت مصادرتها باعتبارها مخالفة ومعادية لأفكار الدين والأخلاق خارجة عن تعاليم الطب والدين إلى أن سلط الضوء مجددا على هذه القضية وقامت حملة شرسة ضد ختان الإناث من قبل منظمة الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية بعد أن برزت إعلاميا ضحية جديدة هي الطفلة بدور.

ترى كم قربانا قدمت مجتمعاتنا العربية لغول الجهل والخوف وكم نحتاج من الوقت والزمن لنتوقف عن هذا الانتهاك الصارخ لحقوق الإنسان انتصارا لعاداتنا وتقاليدنا الموروثة ومتى نحرر مفهوم الشرف من سجنه القسري الضيق ليعود كما هو حقيقة أوسع واكبر تحتضن جميع الفضائل المعنوية والجسدية معا.

الواقع أن ليس كل ما نفعل يرضي الله تعالى، فالله تعالى ارحم الراحمين،كيف يخلق جزءا في المرأة ثم يأمر بقطعه بعد

ذلك .. الأمر الذي لا يستوعبه عقل أو يقبله القلب السليم أو الضمير المستقيم.

ومع أن ختان الإناث والذكور لم يرد ذكره أو الأمر به صراحة في الكتب السماوية بخلاف التوراة إلا أن الرضا التام عن الختان أو السكوت عن ممارسته اليوم لا يعني أن الأطفال راضون عنه وأن من حقنا التعدي على سلامة جسدهم وتعريضهم للخطر والأذى النفسي دون سبب طبي أكيد.

قد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم والنصائح التي تقول بأهمية الختان لأسباب صحية وقائية لا تصمد كثيرا أمام العقل المستنير ما دمنا نغسل أسناننا لكننا لا نقلعها بحجة أنها مكان لتجمع الميكروبات!

ولأن الختان عادة اجتماعية ذات جذور فان معظم الذين يناهضون ختان الإناث إلى يومنا هذا يصمتون حين يتعلق الأمر بختان الذكور وهي عادة اجتماعيه منذ وعد الإله بني إسرائيل بمنحهم أرض كنعان بعد اختتانهم وسواء كان عن خوف أو جهل فان الاكتفاء بالتهجم على ختان الإناث مخالفه صريحة لمبدأ عدم التمييز بين الذكور والإناث من الحقوق .

وفي خضم المؤتمرات التي أقيمت والمقالات التي سطرت وبعض القوانين التي سنت مؤخرا لتحريم ختان البنات لا يبقى

سوى أن نتذكر أن الختان لم يكن يوما جراحة علاجية لمرض معين إنما كان جراحة مبررة تبحث عن مرض ما.. وقد كان مؤخرا هذا المرض (الايدز) كما سوقت وسائل الإعلام وكما يسوق البعض دائما بربط الختان بالعفة والأخلاق والطهارة والنظافة في حين أن هذه كلها فضائل وأخلاقيات يتعلمها الإنسان ويمارسها بدون مشرط يبتر الأجزاء دائما ويشوه الأعضاء غالبا ويزهق الأرواح أحيانا.

لا يحتاج الزواج إلى ورقه..

لا يحتاج الزواج إلى ورقه..

والاتهامات التي تشدق بها بعض الكتاب متهمين كل من دافع عن هند الحناوي في قضيتها مع الفيشاوي من كاتبات دون الكتاب أو هيئات غير حكومية بأنهم أو أنهن نسوة خارجات عن النص أو فاتهن قطار الزواج كانت نتيجة طبيعية كرد فعل للصدمة التي تلقتها ذهنية الرجل الشرقي المبرمجة والتي ترفض المنطق الذي يقول بأن أي علاقة تحتاج إلى شريكين اثنين، لا يمكن أن يخطى أحدهم دون الآخر!ولا يمكن أن يأتي طفل بإرادة أمه ومسئوليتها دون الأب.

وترفض هذه الذهنية الذكورية مذعورة الاستناد إلى قصائد الشعراء باعتبارها قصائد ماجنة فاسدة شكلا ومضمونا !

فهل يحتاج الزواج إلى ورقه ؟ وهل تقوم البيوت بجدرانها والحياة بتفاصيلها على ورقة ؟

وهل الشعراء بحالاتهم الوجدانية الصادقة حد الاشتعال وأمانيهم الرومانسية التي تحلق بهم إلى عالم مثالي جميل يتمنونه لا يستحقون التغني بقصائدهم والاستشهاد بها!

إذا لم أكن واقعية في إصراري على أن الزواج أساسه الحب والبيوت أساسها المحبة والشعراء مبدعين ومعلمين كـادوا أن يكونوا رسلا .. فان الواقع حينها يخرج لي لسانه متحـديا صارخا بأننا في غابة بشرية تفتقر إلى الأخلاق والمحبـة ولهـذا السبب فقط نحن بحاجة إلى أوراق وعقود ومحاكم تحفـظ لنـا حقوقنا وتحمينا من افتراس احدنا للآخر بعد ان ينتهي كل من الرجل والمرأة من العلاقة ليبدأا بورقة أخرى قد تكون ورقـة الطلاق.

إن كلمة عقد كلمة لا تليق بإنسانيتنا وهي تذكرنا بالقوانين التي تحكم الاتفاقات القانونية القاسية والمادية بين الناس الـتي يخشى فيها كل على نفسه من "بيع وشـراء، تنـازل، إنتـاج وتوزيع، إيجار ، وكالة ، ميراث ، وعقد زواج وطلاق ، عقد عرفي ، عقد مسيار ، عقد زواج فرند.... "

وليس إنسانيا أيضا أن يستفز القاضي هند بسؤالها "إذا مـا كانت رخيصة إلى هذا الحد" في إشارة إلى أنها لم تتقاضى مهرا يساوي قيمتها !

فعقد الزواج وان وجد فهو لم يحدد ثمنا ماديا لهذه المرأة التي منحت نفسها بلا مقابل مادي، و لم يعترف بها المجتمـع لأنهـا رخيصة الثمن!

هذا الثمن الذي شرعه القانون لكيان المرأة ينطوي على امتهان لكرامتها كإنسانه حرة ومستقلة ومساوية للرجل في حياتها المشتركة معه بالتساوي وكأنه لم يبقى سوى أن يكتمل بتحديد لائحة بالأسعار المتعارف عليها للنساء.

وسواء كانت المشكلة في ذهنية الفتاة التي اعتمدت على الحب وحده أم في ذهنية الشاب الذي اعتمد على انحياز مجتمعه وجهله فإننا في الماضي قبل ظهور الحضارات والأديان كان الزواج عبارة عن علاقة حميمة تجمع الرجل والمرأة في قبول ورضا من الطرفين .. وفي عهدنا الذي أصبح فيه من السهل معرفة الأب البيولوجي بنتيجة تصل إلى ١٠٠% يزيد الإصرار على العقود والأوراق وتسفيه أي حقيقية أو رأي خارج النص!

واليوم فقط بعد أن أنصف القانون الذي استند إلى ضمير القاضي وقصيدة الشاعر نزار قباني لم يستطع أن يجمع زوجين أو شريكين فرقهم الحب ولم يعوض الطفلة لينا ما لصق بها من عار وتشهير ومع ذلك اعتبرها بعض الكتاب الفائزة الوحيدة في هذه القضية حين أصبح وجودها شرعيا واستكثر عليها هذا الوجود بيننا لا لسبب سوى عدم الإيمان بقضيتها رغم أن الله تعالى لم ينتظر إيماننا بقضيتها كي يأتي بها إلى الحياة.

لينا أخذت شكلها الأخير وأصبحت عضوا في مجتمعنا فقط لأننا أخيرا تجرأنا على الاعتراف بان من يشاء الله له أن يأتي إلى هذه الحياة من حقه أن يشاركنا بها بكرامة إذا لم يكن بحكم

قضائي فبالاستناد إلى قصيدة مارقة لشاعر يحمل ضميرا شفافا إلى حد المجون !

أكرر..

لا يحتاج الزواج إلى ورقة ولكن إلى الحب، فهل كل من يملك الورقة يملك هذا الحب ليكون زواجه شرعيا ؟

اشك في هذا..

واترك لكم النسبة لتفضح الحقيقة ولتخبركم لماذا يحلو لنا الخروج عن النص والتلويح لقطار الزواج أحيانا باستخفاف.

وقود المرأة

يقال "إن النحلة تموت إذا انتقمت.. والمرأة تحيا بانتقامها"

وعليه يمكن القول بأنه إذا كان وراء كل رجل عظيم امرأة فان وراء كل امرأة عظيمة جرح غائر أو خيانة موجعه وإذا كان التشجيع والحب والتقدير وقود الرجل لنجاحاته فان التحدي والألم وقود المرأة لطموحها ومنافستها وقوتها المزعومة.

المجتمع لا يطالب المرأة بالتفوق والتميز خارج أدوارها الأسرية لكنها تصر على ذلك باستماتة لكي يتحول ألمها الشخصي وتحديها الأنثوية للذات إلى إبداع وتميز.

ففي الوقت الذي نستطيع أن نجزم فيه بأن السعي للنجاح ضرورة حتمية لكل رجل فانه ليس أبدا ضرورة حتمية لوجود المرأة إلا إذا نقصها شيء من الحب أو تقدير الذات!

وإذا كان تفوق البنات على الأولاد في الثانوية العامة أصبح ظاهرة فهي جديرة بالبحث لأنها تعكس روح التحدي لدى الأنثى التي لو لم تشعر بالنقص لما شحذت همتها لمنافسته ويأتي بذلك التفوق المادي في المرتبة الثانية في الأهمية.

كذلك في تصويت اجري على شبكة الانترنت حول السبب الذي يقف وراء تفوق المرأة العربية تم اختيار الأنوثة ثم

جاءت الكفاءة وتلاها عامل القهر كسبب حيث أجاب ٢٦%
فقط أن القهر قد يقف وراء تفوق المرأة..

رغم أن الأنوثة لا تحتاج إلى إثبات كما إن الكفاءة إحــدى
متطلبات النجاح وليس دافعا له..

إذن ليست الأسباب واحدة على الإطلاق،فهل للمرأة حقا
حوافز من نوع آخر تتماشى مع طبيعتــها كــصانعة للحيــاة
ومكيدها الأنثوية كبهار هذه الحياة.

أكاد أجزم بهذا ..

و هي شبه حقيقة إذا لم تكن الحقيقة ذاتها..

فالألم يزيد المرأة لمعانا وبريقا كبريق الألماس تصبح شــهية
بوجعها وكبريائها وآلامها السحيقة

كما يعيد لها هذا التفوق والتميز شيء من توازنها النفسي..

وحتما هي مخلوق ذكي يعرف كيف يحول معاركه الخاسرة
إلى صالحه و تدرك أيضا أن الطبيعة ربمــا ســلحتها بــالمكر
والخداع لأنها حرمتها القوة والسيادة..

لا لم أظلم الرجل.. فلا تظلموني

إنما المرأة مدينة له بنجاحاتها مثله تماما فهو من أماتها قهــرا
وأشعل في قلبها نارا لا يطفئها سوى ضجيج التصفيق ونظرات
الإعجاب..

نعم خلف كل نجاح أنثوي حالة تحدي مزمنة..

حالة بكاء، أو حالة حزن من نوع آخر لا تعرفـــه ســـوى المتميزات المتفوقات ممن فضلن الانتحار بكرامة..

إذا لم تقتنعوا..

اعتبروها شبه حقيقة واتركوا الحقيقة الكاملة بكافة حقوقها الفكرية و الملكية لدى بعضهن.

سؤال غريب.. ربما ؟

صدقوني لا شيء له قاعدة أخلاقية مطلقة في الحياة، فالأمر يعود إلى المجتمع الذي نعيش فيه والى الدين الذي ندين به ثم إلى فلسفتنا الخاصة إذا كانت لدينا فلسفات أخرى..

لكن إلى أي حد يسهم هذا المجتمع أو ذاك الذين أو تلـــك التربية في تشكيل طبيعة الإنسان ؟

وهل يمكن لمجتمع منحرف أن ينتج إنسان مستقيم أو لدين أن ينتج إنسان شرير في حقيقته الكامنـــة وان كـــان ظـــاهره العكس ؟

سؤال غريب.. ربما ؟

لكنه يذكرني بسؤال فلسفي طرحته يوما على صديقة فكان جوابها قنبلة.. ماذا لو لم يكن الله موجودا ؟

ماذا لو لم تأتي الأديان ولم يرسل الرسل.. ما الذي كـــان يمكن أن يختلف في حياتنا كبشر أو في حضارتنا الإنسانية ؟

وبلا تردد أجابتني" لكنت فعلت كل شيء.. أسرق، أزني، أكذب.. بلا خوف من عقاب ".

ففكرت في هذه اللحظة هل علي أن أخافها لـــو لم تكـــن متدينة إلى حد ما !

أمام هذا السؤال لا يجب أن نـــسى أن للحـــضارة دور في رقي الإنسانية وتطورها لكنها بلا عقائد.. كيف ستبدو ؟

بعد تأمل.. لا أجد فرقا جذريا في حياة البشر سوى اختفاء الممارسات الدينية المتمثلة في الشعائر وستظهر حاجتنا للقانون بصورة أكبر باعتباره الرادع الخارجي الوحيد.

أما لماذا ؟

فلأني أعتقد اعتقادا راسخا بأننا نولـــد بـــصفاتنا الخلقيـــة والخلقية بنسبة تصل إلى أكثر من ٧٠% لتبقى النسبة الباقيـــة تتولاها البيئة والتنشئة فنحن لا نولد بطبيعة واحدة ومتـــشابهة وهو الأمر الذي تؤكده الأبحاث الجينية وجرائم الأطفال.

باختصار.. أرى أن لا شيء يتغير في سلوك الإنسان سوى فقدانه "السلام الداخلي" الذي نحن بحاجة فطرية له..

إذن هل نمتنع خوفا من الله تعالى فقط وهل بالـــضرورة أن نحلم بجنة لأجلها نستقيم أو نخشى نار بسببها نمتنع عن الأفعال الشريرة أو المشينة ؟

السؤال الأهم ..

هل يغير الدين من طبيعتنا الشريرة باعتبارنا مخيرين لا مسيرين أم يحول دون بشاعتها فقط وستعود لتطفو على السطح متى اختفى هذا الوازع الديني والأخلاقي ؟

إن إحساسنا بالمسئولية ووجود الضمير " الصوت الخفي لله" في عقل ووجدان الإنسان يرجع إلى طبيعتنا الغير متغيرة و للتربية الدينية أو قوانين المجتمع أو التنشئة التي تهذب فقط.

وما حدث أثناء زلزال كاترينا مثلا حين غاب قانون الدولة عن هذه البلدة لمدة أسبوع في ظل الفوضى العارمة التي سببتها الكارثة طفت على السطح حقيقة الإنسان العارية خارج إطار القانون والنظام الاجتماعي فحدث ما حدث من جرائم اغتصاب وسرقة وقتل في المقابل أيضا حدث ما حدث من سلوكيات بطولية لأشخاص لا ينتمون إلى بيئات متدينة من تضحية ومساعدة الآخرين حيث كانوا هناك في عزلة عن العالم و لم يبقى سوى الإنسان وحقيقته وضميره فقط.

باختصار.. هل نحن خيرين لأننا نخاف عقاب الله أم لأننا كذلك ؟

ثم هل نستطيع أن ننقلب أشرارا لو اختفى الدين والقانون والعكس صحيح هل نتغير نوازعنا الشريرة فنصبح خيرين محبين حتى في ظل القانون والدين؟

لا نحتاج إلى زلزال مشابه لكي تعم الفوضى وتسقط الأقنعة..

نحتاج فقط إلى وقفة تأمل مع الذات.. لكي نعرفها على حقيقتها لربما خجلنا من هذه الحقيقة وان لم نستطع تغييرها.

هواية ذكورية أم فخ أنثوي

إذا كان ضرب الحبيب زي أكل الزبيب على رأي صناع الأمثال الشعبية في مصر، وإذا كانت المرأة (مثل السجادة ما بتنضف إلا بالخبط) ومثل (الزيتون ما بتحلى إلا بالرص) أي بالضرب كما يقول أهل الشام في أمثلتهم الشامية، فمن الطبيعي بعد أن تعودنا مشاكسة المرأة بهذه الأمثلة أن نتعجب ونندهش بل ونستنكر تأسيس جمعية لحماية الرجل من طغيانها الأنثوي.

خبر كهذا قد يكون دليل مؤكد على دخول الرجل في مرحلة التمرد على صمته وإفشاء أسرارا حقوقه المهدوره والتصريح بوجود مشكلة حقيقية باتت تستدعي تكوين جمعية!

يحدث هذا في الوقت ذاته الذي تعقد فيه المؤتمرات والندوات لمناقشة العنف ضد المرأة خاصة ذلك الذي يتطور إلى حد الجريمة...

علم الانثربولوجيا الراصد لذبذبات الإنسان بتطوره واختلافه وتناقضه يكشف و يعري الصراع بين الرجل والمرأة ، ففي بعض المجتمعات الشرقية يعتبر ضرب الزوجات (سنه) مألوفة ومتأصلة في نسيج الأعراف حتى أن إحداهن صرحت في دراسة ميدانية في مصر قائلة : إحنا متعودين على الضرب .. أخويا من صغري كان بيضربنا قبل الجواز !

بينما قالت أخرى: بيضربني بالأقلام (الكفوف)، بس أصله مش زي الرجاله التانيين الي بيضربوا بالخرطوم لأ .. هو حنين!

لكن هذا التمرد الخجول لا يناسب الزوجات الأفريقيات في بعض المناطق حين يتباهين فخرا بأنهن تعرضن أكثر للضرب ومن لا يضربها زوجها فانه حتما لا يحبها !!

فالضرب ليس إلا "مداعبة غرامية" من بعولهن في نادرة من غرائب الظواهر في المجتمعات الأفريقية.

لكن انقلاب الآية ليصبح الرجل من يشتكي ويتذمر من عنف شريكته يضعنا أمامها عاجزين عن تفسير هذه الأنثى الظالمة والمظلومة في آن .. فإلى أي مدى تبدو هذه الظاهرة ذات بعد اجتماعي ونفسي والى أي مدى هي خاضعة لمزاج المرأة ؟

وهل لعلاقة الأنوثة بالرجولة دور في لعبة الممارسات العنيفة التي تقع من الطرفين ؟

يقول (سرفانتس) .. بين "لا " و"نعمها" لا يوجد متسع لمرابره ..

طبعا لا تكمن المشكلة في عباءة القبول التي ترتديها المرأة وهي رافضة.. أو مظاهر الحب وهي كارهه.. أو الكره وهي

محبة عاشقة .. لكن المشكلة في طريقة تعاطي الرجل مع هـذا العالم الغامض فتحدث الإشكالية وتتحول المداعبات إلى عنف والعنف إلى جريمة والتمرد إلى مظاهرات وجمعيات لحماية الحقوق.

هذا العنف الزوجي يبدو الإنسان سيده بلا منازع دونا عن بقية المخلوقات فلا يمارسه سوى الرجل وفصيلة العناكب !

لكن هل هو هواية ذكورية .. أم فخ أنثوي ؟

لنسأل أبطاله وضحاياه.

ومن الحب ما قتل !

وإذ يبدو (باب النجار مخلّع) فأني لم أحتفل يوما بعيد الحب مع حبيب رغم رصيدي الذي يزيد عن خمسين قصيدة في موضوعاته الوجدانية ورغم الدببة والورود الحمراء، وهذه الوقفة السنوية مع هذا المسمى بالحب..

إذن هو شغف الفكرة الذي تأججه الأماني يجعلنا نقف على عتبة الأشياء ونحتفي بها !

لكن بعيدا عن الفلسفة الخاصة بتحليله وتفسيره فانه حتما لن يغير عيد الحب من وجه العالم شيئا، وسيبقى رمزا للبحث عن الحب والسلام أو تعبيرا عن مشاعر مكبوتة أو ربما أحلام وتمنيات أجهضها الواقع بعبثه أو القدر بمشيئته.

إلا أن هناك شعوبا تصر على الاحتفاء به على طريقتها الخاصة وشعوبا أخرى ترفض مجرد الترويج له بينما تهتم شعوبا ثالثة باستثمار بريقه كالشعب البريطاني الذي لم يتوانى عن إقامة المزادات على بطاقة عيد حب أهدتها الأميرة ديانا لأحدهم!

أما في مجتمعات أكثر تقدما وعلما فإنهم يفضلون الاحتفاء بالحب على طريقتهم فيفجرون مفاجئات مثيرة تتعلق بفك

شفرات هذه العاطفة باكتشاف علمي بحت لا علاقة له بالرومانسية لا من قريب ولا من بعيد.

في المقابل تبدو مجتمعات مذعورة في مناطق أخرى من الأرض وقد كفرت بالحب وأعطت الأولوية للحياة لتصبح هدايا عيد الحب هدايا من نوع خاص كما في "بكين" وهي عبارة عن عبوة نادرة من دواء للأنفلونزا يقال أنه فعال في مقاومة الفيروس.

وفي مجتمعاتنا الصغيرة الهادئة نتحمس لهدايانا التقليدية من قلوب وورود حمراء في الوقت الذي ترتفع فيه نسبة الطلاق والخيانة إلى أعداد غير مسبوقة لسبب غير معروف !

تناقضات إنسان هذا العصر العاشق المحب تدعو للضحك والبكاء.. فهل كان القديس فالنتين يتوقع أننا سننسى الحب كقضية وننشغل بالابتهاج بأعياده وطقوسه السنوية أو حتى قمع مظاهره كما حدث في أندونسيا وهي المشغولة اليوم بإصدار قانون للعقوبات يجعل القبلة على الطريق العام جريمة عقوبتها السجن لمدة تصل إلى عشر سنوات مع غرامة مالية كبيرة !

فهل هو الجفاف العاطفي الذي يعيشه الإنسان ؟

أم هو التخبط في التعبير عن الحب انتقاما أو حسدا أو غيرة من كائنات حية أخرى تعيش حياتها العاطفية ببساطة وعفوية ؟

فيكتفي طير البطريك مثلا بالتثاؤب كجزء من طقوس الغزل .. ولا يتردد الطاووس الذكر من فتح ذنبه الطويل ليبدو بـــشكل مروحة جذابة من الريش الملون عندما يريد أن يلفـــت انتبـــاه الأنثى..

وتحرص ذكور العناكب على إتبـــاع الطـــرق الـــصحيحة للمغازلة التي ترضي الأنثى ولا تغضبها وإلا أكلته مدعية الغباء!

بينما الضفادع تنق.. والعصافير تغرد.. وفرس البحر يرقص لساعات طويلة..

لكننا نحن البشر لنا أيضا فضائلنا، فنحن لا نحرم أنفسنا أبدا من التثاؤب أو النق أو التغريد والغناء كل على ليلاه.. كما لا نتردد أبدا في تعقيد الحب أو بهرجة مناسباته أو تحريم مظاهره.. أو ربما ارتكاب أفظع الجرائم باسمه !!

أليس الإنسان.. والإنسان فقط صاحب المقولة العبقرية: أن من الحب ما قتل !

أبـواب ومفاتيح

لا تصدقوا أن هناك امرأة بلا قلب ..

وصدقوا أن هناك امرأة تعبث بكل قلب..

أما الحقيقة فهي أن المرأة لم تخلق إلا ليحبـــها الرجـــل ولا يدرك سرها أبدا، فهل هي لغز غامض ؟ أم هي حقا مخلـــوق متناقض ؟ أم أنها مشروع تضليل وإغواء تتصرف كـــشخص أحول فتنظر إلى اليمين حينما تسير إلى اليسار !

يقول نيتشه " في قلب كل امرأة عبد وطاغية "

فهل حقا قلوب النساء أبواب مفاتحيها في أيـــدي الرجـــال وحدهم ؟

إذا امتلكوها ملكوا صاحبته عبده مطيعة وإذا فشلوا في ذلك انتفض الطاغية في قلب الانثى !

يبدو هذا صحيحا إلى حد ما..

ففيما تختلف مداخل المرأة باختلاف طبيعتـــها وتركيبتـــها النفسية، تبدو هناك امرأة محافظة تغلق بابا حديديا لكنها تتركه مواربا.. على نقيض المرأة المنفتحة أو المتحررة التي تغلق أبوابها لكنها لا تنسى أن تدل الرجل على مفاتيحه .. أما المرأة الملتوية

بلا مبدأ المدركة للعبته معها فإنها تترك الرجل يدور لاهثا وراء منفذ في أبوابها اللولبية كلعبة متاهات الثعابين ليقطع أشـــواطا كان يمكن اختصارها بخطوة !

ويبقى هناك امرأة بلا قلب.. تلك مجهولة العنـــوان وبـــلا أبواب، التي أغلقت قلبها في وجه رجل لن تحبه أبدا مهما فعل.

قلب الأنثى إذن كثير الأبواب والمفاتيح والأقفال..

إلا أنه في مقابل هذه الفلسفة التي يتبناها الرجل في مطاردة أنثاه راضيا، كون الحب لؤلؤة لا يحصل عليها إلا الغواص الماهر نجد أن قلب الرجل يوصف بأنه قلب طفل كبير، وإذا ما تخلى عن هذه الطفولة..

نقول أن قلبه في معدته إذن !

يجوع فتجوع معه أعصابه، ربما لهذا درجنا على القول أنـــه ليس من الذكاء أبدا أن تطلب المرأة شيئا من زوجها ومعدتـــه خاليه.. ثم وقلبه مغلق !

هذا القلب الذي يفتح مع امتلاء المعـــدة دون الحاجـــة إلى أبواب أو مفاتيح!

تأملوا فقط كم هي المرأة معقده ومثيره..

وكم هو الرجل بسيط وممل.

جميعنا خائفون

قبل أن أقول أن شر البلية ما يضحك..

أؤكد أن للإرهاب فكر وللإرهابيين ثقافة، إلا أن العقل الإرهابي يعتمد على ترهيب الآخر كي يتخلى عن ثقافته لصالح قيمه اعتقادا بأنه يملك وحده كل الحقيقة..

هذا الأمر طبعا يلغي افتراض الحوار معهم أو مناقشة ما في جعبتهم من فلسفة أو مشاريع للشعوب والإنسانية.

لكن ثقافة العنف التي تصاعدت بشكل هستيري حتى وصلت عالمنا العربي جعلت من الفضيلة مأساتنا التي لم تعد سوى وجه من وجوه الرعب.. فهل يمكن للجريمة أن تؤسس لوعد بالخلاص ؟

وهل مأساتنا هذه قدر أم خيار ؟

بعيدا عن الحيرة الفلسفية فان الحقيقة تصرخ بأننا لم نكن بحاجة إلى مزيد من الخوف والإرهاب فالحياة بحد ذاتها نظام رعب..

الكل خائفون..

نعم جميعنا خائفون..

الشاب يخاف رئيسه في العمل وربما يخشى على وظيفته

والفتاة خائفة من احتمال بقائها عانسا

والعجائز خائفون على صحتهم ونشاطهم حد الفزع

العشاق يخافون فقدان أحبتهم

والشعوب تخاف أنظمتها

الزوج المغرم بسكرتيرته يخاف رد فعل زوجته

والزوجة التي تحلم بالحرية خائفة من زوج متسلط

الأطفال ما كانوا ليكونوا مهذبين لولا خوفهم من العقاب

والطلاب ما نجحوا لولا خوفهم من أستاذهم القاسي سليط اللسان

المرأة الجميلة تخاف على جاذبيتها وجمالها حد الهوس

والقبيحة تخاف على ما بقي لديها من حظ و ذكـــاء حـــد الهلع

الفقير يخشى حاجته..

والغني يخاف إفلاسه

ورجل الأعمال خائف على انهيار أسهمه في البورصة حـــد السكتة القلبية أحيانا..

حتى العامل البسيط خائف من اللجوء إلى لجنـــة حقـــوق الإنسان..

الفتاة تخاف الزواج

والمتزوجة تخاف الطلاق

والمطلقة تخاف انتقادات الجيران..

كلنا في النهاية نقع فريسة الخوف.. نخاف الحسد والظـــلام والشياطين والمجهول.

كما نخاف الفشل

نخاف الشيخوخة.. ونخاف الموت

ونخاف يوم الحساب

هكذا نعيش في قبضة الخوف.. بعضنا يعي ذلك.. وبعضنا يتجاهله

فما الذي أضافه الإرهاب إلى قائمة مخاوفنا ؟

لا شيء مهم..

سوى خوف جديد من التجول في الأســـواق والمجمعـــات التجارية..

ورعب من الاصطياف في المنتجعات..

وفزع من الإقامة في الفنادق

وتوجس من زيارة الملاهي والمقاهي

ثم خيبة أمل متوقعة إذا ما فكرنا في التخلص من همومنا ومخاوفنا هذه بالسفر إلى أراض أخرى لم تعرف الخوف والإرهاب بعد !

على ألا تكون شواطئ وجزر يسيل لها لعاب تسونامي.. أو جبال تلتهمها الزلازل.. أو صحراء يرتادها قطاع الطرق بدل الصقور والغزلان.

لكن أبدا لا تخافوا..

فقط أقترح عليكم الاحتفاظ بخريطة للعالم قد نحتاجها مع بداية الصيف القادم وموسم الإجازات بحثا عن بقعة أرض جديدة..

خوفا من الحرارة والرطوبة طبعا !!

لعبة الكتابة

الكلمات أيضا كالشعوب، إذا أرادت الحياة فلابد أن يستجيب القدر..

على الأقل هذا ما يؤمن به أي كاتب أو أديب أو مفكر ليستمر في نزفه الحبري مدى الحياة ولا يعتزلها إلا مهددا بالقتل أو الاعتقال أو محاصرا بالكآبة والشيخوخة والعزلة.

بعض المثقفين يدركون حقيقة معاناتهم حين يفقدون الأمل في تغيير ما حولهم أو تجميل واقعهم أو تجسيد أحلامهم وأوهامهم، وهو سبب مباشر ليصبح ٦٢% من الكتاب والمثقفين ضحايا للاكتئاب أو فريسة للوساوس أو انفصام الشخصية.

أمام هذه الحقيقة تبدو الكتابة كمسمار جحا، حجة ضرورية لبقائنا على قيد أحلامنا وأمانينا.. وحياتنا أيضا.. فالكتابة فعل حب، كما هي لحظة الولادة فعل حياة.. ولحظة الحلم فعل تحايل على الموت لكن الإيمان بها جميعا هو أيضا فعل أحمق.. فكيف يؤمن الشاعر بأسرار دهشته..

والكاتب أو المثقف بجدوى كتابته

ويثق الفنان بسحر ألوانه وألحانه في محـــاولات مكـــشوفة للتخيل والتحايل على الواقع وفي مساحات هي مسروقة مـــن أرض الحياة

نعم ..

نحن لا نغير العالم ببضعة أسطر، ولا نهز الكـــرة الأرضـــية ببضعة كلمات، فالحياة تستمر بعدنا والجرائد تواصل الصدور دوننا ودون أولئك الذين شغلوا صفحاتها وأعمدتها لشهور أو لسنوات

لكن لعبة الكتابة كلعبة الأنوثة.. كلعبة الحـــب.. ككـــل القضايا الكبرى في الحياة، تحتاج إلى الإيمان بها لكي تستمر.

وبرغم أني أعاني أزمة ثقة، إلا أننا مع القلم لا بد أن نثـــق بأوهامنا على حساب المنطق !

لابد أن نتمرد ونخلق ونخرج على قوانين الحياة..

فإذا لم نستطع أن نسطو على جسد الحياة ونغـــزو قلبـــها ونحياها مذهلة خارقة للعادة فإننا نخرج على قوانينـــها ونحلـــم بالمستحيل نكاية بما هو ممكن، ففي تمنى الأشياء ومطاردتها على الورق مذاق أشهى من الاستسلام والهزيمة.

هكذا يدرك الكاتب في مكان ما في أعماقه حقيقة دوافعـــه للكتابة فإذا تخلى عنها مرغما فليس هو إلا انكسار الشامخين..

ذلك أن الأفكار تسكت لكنها أبدا لا تموت

والأقلام وحدها تتوقف عن النزف قسرا

لكنها لن تتوقف عن الألم سرا أو السخط قهرا

فينتهي زمن الأنبياء والأبطال..

بينما يبقى زمن الحالمون سواء كتبوا أم لم يكتبوا .

لماذا أيها الرجل؟

مسكينة هي المرأة ..

ومحتارة هي هذه الأنثى في عالمنا العربي..

بين تشدد لا يرى فيها إلا جسد يثير الفتنة ويستحق كل الجهود لإخفائه وبين تحرر يهدف إلى تحويلها إلى سلعة تستغل لتحقيق الأرباح.

وبين هذا وذاك يفرط الإعلام والقنوات الفضائية في تضخيم هذه الازدواجية، فالمرأة العربية تبدو كورقة اللعب يتم التلويح بها حسب التوجه والمصلحة سواء من يريدها متحررة لتصبح سلعة أو من يريدها معزولة مقموعة .. بل ومقتنعة بحق الرجل في ضربها على ألا يكون مبرحا حد الكسور والكدمات ! وهي عينة مثلت ٨٧٪ من النساء مؤيدات لهذا الحق في آخر مسح أجري في الأردن.

إذن هي ثقافة مجتمع عربي وامرأة عربية تخشى المطالبة بما هو أكثر فزعا ربما من كيانها الشيطاني الذي يخشاه الرجل والمجتمع.. ويتناوله الإعلام كقضية مثيرة !

وقضايا المرأة العربية مثيرة فعلا، ما دام طرفي النزاع في واقع فكر لا ينظر للمرأة كإنسانه مساوية للرجل وكائن مستقل عن هيمنته وهو جدل لن ينتهي في عالم تبدو فيه الغلبة للطرف للأقوى.

لكننا لا ننتبه إلى أن للمرأة أدوارها واهتماماتها التي تتعدى حدود ما هو مغطى أو مكشوف من جسدها فالمرأة إذا ما تم تقديسها بهدف القمع تصبح تماما كالسينما النظيفة التي نطالب بها ونرضى عنها متجاهلين عن قصد أو عن جهل بأنها لا تمت للواقع بصله فهي لا تعكس الحقيقة بقدر ما تعكس ما نحب أن تكونه أو ما نعجز على أن نكونه بالفعل.

ولان الدعوة إلى تحرير المرأة لبست ثوب الانحلال لجذب الزبائن أو تسويق البضائع والمواهب ..

ولأن الدعوة أيضا إلى العودة إلى الوراء لبست ثوب التكفير، تكفير كل من يدعو إلى حق المرأة في قيادة سيارتها أو تخليص مصالحها بنفسها أو السفر بدون إذن ولي أمرها.

ثم لأن هناك نوع من النساء لم يتناوله الإعلام أو تهتم المنظمات النسويه بقضاياه..

نوع من النساء موجود في مختلف طبقات المجتمعات العربية بداية من الزوجة المتفانية إلى الموظفة العاملة إلى الأكاديمية والخبيرة والمفكرة..

أؤكد أن هناك أصوات وعقول لنساء تعيش في الظل وتكاد تصرخ .. حسرة واستنكارا.

" أين نحن من صورة المرأة في الإعلام العربي"

،أين نحن من قضية تحررنا بعيدا عن منطق الجسد؟

أين هي قضاياها ومشاكلها بعيدا عن التحـــرر و التـــشدد وبعيدا جدا عن جسدها الفاتن ؟

أين هي المرأة الإنسانة الناجحة أو المكافحـــة أو المـــضحية كمثل أعلى أو نموذج أو نجمة لغلاف احد المطبوعات ؟

وإذا لم أكن تلك المرأة الداعيـــة أو الزوجـــة الخائفـــة أو المضطهدة..

أو لم أكن راقصة مبتدله أو فنانة فيديو كليب ..

فأين هو موقعي كامرأة عربية لا ترى في وجودها على هذه الأرض مشكلة ؟

ولماذا يأكل آدم التفاحة .. وتختبئ حواء وحـــدها خائفـــة فزعه ومحتارة خلف الشجرة ؟

لماذا ؟؟

فلسفة جديدة للزواج

هل تصلح الزوجة لان تكون مصدر الهام للرجل ؟

طبعا لا.

و ليست الزوجة فقط التي لا تصلح لان تكــون ملهمــة الرجل.. بل هو الزوج أيضا !

كيف ؟

بمعنى آخر فان مؤسسة الزواج لا تناسب أولئك المبدعين إذا أصروا على الارتباط بملهميهم.

هل هي حقيقة مدهشة ؟

بل مخيفة..

ومفزعه أيضا.

وربما غير مفهومة أو مقبولة من قبل الرجل كاتبا أو شاعرا أو فنانا، فكيف برجل آخر أن يلهم المرأة الزوجــة إبــداعها والخيانة ثقافة ذكورية بحته لا تغفرها سوى النساء لأزواجهــن الأطفال !

هؤلاء الأطفال الذين تصاحبهم طفولتهم إلى آخر العمر فلا يدخلون سن اليأس .. ووحدها شريكتهم التي تيأس !

ولأننا لا نعرف الحكمة من تواطؤ الزمن مع الرجل فـــإني أتجاوز هذه النقطة إلى الأهم فليس جوهر الموضوع في جـــنس الطرف المبدع لكنه في علاقة الإبداع بالزواج أو ذلك القفص الذهبي الذي تهرب منه العصافير إذا شاءت التغريد !

ترى لماذا لا تكون الزوجة تلك الحبيبة الملهمة ؟

ولماذا لا يبقى الزوج ملهما ؟

ذلك ببساطه لأنه لا يمكن للزوجة أن تكون الخائنة والغادرة والمراوغة والمعذبة لعاشقها وتلك النجمة التي أبدا لا تطال.

ولا يمكن للزوج أيضا أن يكون ذلك الملهم القابع خلـــف كل الاحتمالات في انتظار ما تشتهي الأنثـــى وتتـــوهم مـــن أساليب الغزل والدجل.. والكر والفر.

ذلك أيضا لان الزواج عقد ندخل بموجبه مؤسسة فيها من الحقوق والواجبات ما يكفي لنسف تلقائية المـــشاعر وحريـــة التعبير والابتكار في التفاعل مع الآخر..

الآخر الذي نطوق إليه ولا نملكه بطبيعة الحال.

فهل كانت العظيمة أم كلثوم إحدى أولئك الحكماء عندما لم تتزوج احد من شعرائها وملحنيها الذين استمدوا إبداعاتهم من غرامهم بها كامرأة ؟

فكان تاريخها الطويل الحافل الذي غردت فيه دون توقف.

وهل هي مشكلة تخص الشعراء وحـدهم أو قـضية تهـم المبدعين دون سواهم كونهم المعنيين تحديـدا بعـالم الـشعر والمشاعر والقيم والمثل والفلسفات الفكرية ؟

لن أنصحكم بعد كل هذا بعدم الزواج ؟

ولن أقول لمن يبحث عن حبيبه وفيه متألقة لا تتزوج ؟

كما لن أقول لمن تبحث عن حبيب رومانـسي مخلـص لا تتزوجي ؟

لن افعل .. على الأقل كي لا ننقرض ؟

لكن يمكنني أن أعيد فلسفة الزواج ولنـضيف إلى أنـواع الزواج نوعا جديدا يتلاءم وتطلعاتنا إلى حيـاة أكثـر رضـا وسعادة لا تجعلنا نهرب من أقفاصنا لنغرد خارجها ؟

نمط جديد من الزواج ..

طبيعي وشرعي..

لكن بفلسفة جديدة ومبتكره.

هل هناك امرأة عاقلة ؟

أين عقول النساء ؟

وهل يعتمد على المرأة بعقلها الضعيف وقلبها الرقيق ؟

ثم إذا كانت المرأة ناقصة عقل ودين.. لماذا إذن يطالبها الرجل بالا تثرثر أو تلهث خلف الموضة أو تسرف بالإنفاق والاهم ألا تطارده بغيرتها وأسئلتها خارج المترل ؟

لماذا يصبح عقلها كبيرا وفكرها مستنيرا فقط حين يخدم ذلك مصلحة الرجل ؟

لقد اخترع الرجال مصطلح (السجن الوردي) الذي يطلق على المؤسسة الزوجية والذي يتبناه زميلنا مشرف الصفحة بحماسة كما أتبنى قضية المرأة ، ويبدو أن الزوج غالبا ما يشعر بأنه متخم بشريكته التي تحاصره بعقلها الصغير وهواجسها السخيفة مثقل بهذه المؤسسة الزوجية التي تحول دون حريته ومرابع أصدائه.

يعشق الرجل إذن جنون الحبيبة ويبحث عن عقلها إذا تزوجها ؟

فهل يكذب على نفسه حين يقول أن المرأة العاقلة هي تلك التي تطيعه في حريته وقراراته،ولا تضيق الخناق على حبيبها ؟

وهل هناك امرأة عاقلة حقا ليحلم بها رجالنا ؟

هل يتغذى الحب إلا بالتوتر والقلق على المحبوب ؟

باختصار..

هل يعرف الحب الجامح عقلا نفكر به ؟

أو يقف العشق عند منطق أو معقول نتشدق به ؟

الان المرأة بنصف عقل فان الرجل يرفض السيطرة الأنثوية التي يمنحها الحب للمرأة أو الحبيبة ويثور على ما يظنه عبودية وهي أعلى درجات الحب ؟

ألانها بنصف عقل يضيق الأزواج بمطاردات زوجاتهم التي كانت تسعدهم قبل الزواج ولأنها ناقصة عقل أيضا سجنها الرجل وحدها في هذا السجن الوردي بعد أن سلبها حقها في مشاركته إدارة العالم خارجه ؟

ألان المرأة ناقصة عقل ودين نردد لأجلها عبارة " الله يستر عليها "

ويدعو الرجل بها للأنثى سواء كانت طفلة أو شابه أو عجوزا بسبب وبدون سبب حتى تقبلتها المرأة خانعة أو رددتها كالببغاء أو اعتبرتها قرارا إلهيا لا يجوز الاعتراض عليه؟

ولأنها بنصف هذا العقل ندعو لها بالسترة ولا ندعو بها له إذ ليس هناك شيئا يفعله الرجل يستوجب الدعاء له بالسترة أو الخلاص من عاره ؟

كيف أصبح الرجل منزها في ثقافتنا عن الغضب والحزن والرغبة والثأر والأنانية وغير ذلك مما يؤثر على القرارات التي يتخذها ..

الم يتحكم العقل السليم في هتلر حين قاد العالم بأسره إلى حافة الهاوية أو حين أزهق أرواح الملايين بحجة أنهم خطر على البشرية ؟

وإذا كان هذا يحدث لان الرجال يحتفظون بعقولهم كاملة وسليمة غير منقوصة..

فاني أتساءل.. كيف تسلب هذه الأنثى بنصف عقلها عقول الرجال الكاملة ؟

إذا كانت المرأة ناقصة عقل ..

فاتركوها تغار كما تشاء حتى الجنون ..

أو تنفق كما تريد حد الإسراف

أو تحب وتعشق كما تهوى حد الحماقة

أدعو لها إذن بالعقل والسترة فقط ولا تطالبوها بما تملكون ولا تملك.

الحب عملية نصب !

قد تشكو المرأة الرجل أو تتحاشى الحديث عنه في جلساتها النسائية ولكن هل يفعل هو في جلساته الذكورية وكيف يستغيب الرجل المرأة بطريقته الخاصة؟

ثم ما الفرق بين كلام الرجال وثرثرة النساء في الأحاديث والجلسات الخاصة التي تدور بينهم سواء في الحلقات والتجمعات النسائية أو الرجالية ؟

صحيح أن الرجال والنساء أصناف وأجناس .. إلا أن الأحاديث هي انعكاس لتفكير وثقافة شعب وتجسيد لمثله الأخلاقية وقيمه الاجتماعية، فهل يخطر ببال المرأة مثلا أن جلسات الرجال تغوص في الحديث عنها أو يصعب عليها التفكير في الأمور التي قد تدور حولها تلك الأحاديث ؟

وهل تظلمه أيضا إذا اعتقدت أو توقعت أن الرجال يتحدثون عن المرأة في مجالسهم بأسلوب غير أخلاقي لا يوحي باحترام أو تقدير أو يقارنون بينها وبين فتاة الأمس بحسرة أو سخرية أو تندر؟

الإجابة جاءت صريحة في إحدى التحقيقات الجريئة ولم تختلف كثيرا بين رجل ورجل بحسب شخصيته ومستواه الثقافي

والمادي حول ما يدور من أحاديث في الجلسات الذكورية المغلقة فماذا قالوا ؟

قالوا أن ...

المتزوجون يتحدثون عن النساء بأسلوب كوميدي مضحك يصفون به علاقتهم بزوجاتهم وبيوتهم التي تحولت إلى سجون.

وقالوا أن ..

العزاب تتحول أحاديثهم إلى مغامرات صيد وبطولة

وأيضا قالوا أن..

معظم الأحاديث الأخرى خارج الزواج وقصص البطولات العاطفية تدور في الصالونات والمجالس الرجالية على مستوى العبارات الرخيصة والبذيئة في حق المرأة، إذ ينـدر الحديث بايجابية وتهذيب عن هذه الأنثى خصوصا عند الدخول في المواضيع الجنسية والعلاقات الحميمة وحكايات الغزل والإعجاب حيث يتخطى الرجال غالبا حدود اللياقة فيستعيرون كلامهم من الشارع وتغدو الاجتماعات الشبابية مكرسة للاعترافات بتغرير الفتيات فيتباهى كل منهم بطريقته الناجحة والفاعلة في الإغراء!

وإذ يبدو الحديث عن النساء لا ينتهي ، فان هذه السهرات الشبابية تأتي مرضية لغرور الرجولة وتنتهي بان تفيد بأن المرأة

مخلوق ضعيف وطيب وتصدق الكلام المعسول بسهولة فتنسى نفسها وتتحول إلى ضحية.

فهل هي كذلك ؟ أم أنها ثقافة الرجل الشرقي التي بموجبها تدخل علاقة الرجل والمرأة في لعبة الغالب والمغلوب أو الجاني والضحية؟

وما دوافع الرجل النفسية للحديث عن مغامراته ومهاراته في صيد الأنثى من بحور يغرق فيها سواه ووضعها في إطار البطولة ؟

الطبيعي أن تكون العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة مشتركة فلماذا يلذ للرجل أن يشعر بالفخر والانتصار فيما يحلو للمرأة أن تشعر بالذنب والعار ؟

قد أغرتنا اللعبة حتى تأصلت في جذور ثقافتنا ونظرتنا المشبوهة لعلاقة الحب على اعتبار أن هناك من يضحك على الآخر أو أن هناك جاني ومجني عليه وكأن الحب عملية نصب لا أخلاقية ليس إلا.

السؤال الأخطر..

كيف يربط الرجل وبطريقة غير منطقيه مغامراته وفتوحاته العاطفية بالرجولة ؟

في حين أن الرجولة صفات نتغنى بها نحن النساء حتى بتنا نحلم بها ونبحث عنها في شرقنا دون جدوى.

ترى هل يدرك الرجل أو يتذكر بأنه أغنى قيمه بكثير من كونه ذكرا ؟

إن أنثى سرطان البحر من أصعب إناث الأرض إرضاء لأنها عندما تقرر اختيار شريك حياتها فإنها تنتقيه من بين مئة ذكر يستبسلون في الاستعراض للفوز بقلبها إذ لا يكفي أن يكون هذا الحيوان ذكرا ليحصل على رضاها ..

أنثى الإنسان أيضا تبدو محظوظة في عدد الذكور الذين يطرقون باب قلبها.. مستعرضين فتوحاتهم ومواهبهم ليس طمعا في الحصول على رضاها طبعا .. لكن لصيدها والتغرير بها !!

هل يبدو الفرق كبيرا ؟

نعم يبدو كذلك.

الفردوس المفقود

ترى هل أخذ الشعر حقه على الأرض؟

وهل وصل صوته جهورا إلى أرجائها قبل أن يفكر شعراء السويد ببث أجزاء من إبداعاقمم عبر الأثير في الفضاء الخارجي على اعتبار أن الشعر أفضل وسيلة للتواصل مع الكائنات الفضائية إذا ما كانت موجودة !

هذا البث الشعري إلى فيجا النجم الأكثر لمعانا في كوكبة الغيثارة وهي مجموعه من النجوم في نصف الكرة الشمالي تبعد ٢٥ سنة ضوئية من الأرض لابد وأنه ثمرة اعتقاد راسخ وإيمان عميق بتأثير اللغة الأدبية الساحرة التي تعكس حضارتنا وثقافة شعوبنا.

هذا أيضا ما أكده دانييل سيولين رئيس تحرير مجلة سويدية معنية بالشعر والذي قام بترتيب جلسة القراءة في مرصد ستوكهولم وهو القائل "لا أعتقد أن هناك ما هو أفضل من الشعر لتوصيل معنى أن تكون إنسانا"

لكن بعيدا عن مدى واقعية الفكرة أو غرابتها في وقت يفترض فيه أننا نتواصل مع حضارات ولغات فضائية يستحيل معها التلقي..

ماذا عن هذا الإنسان وإبداعاته؟

هل حقا يعكس الشعر حقيقة هذا الإنسان على هذه الأرض التي لا يتذوق الشعر فيها أو يحترفه إلا القلة القليلة منهم ؟

وهل صور الشعراء في قصائدهم الإنسان الحقيقي بخيره وشره وبكل تناقضا ته وغرائزه وميوله ؟

هل يصدق الشعر والشعراء إلى الحد الذي يمكن أن نعتبرهم فيه مرآه لوجه الإنسان في عصر مكتظ بقضايا ساخنة لا تعالجها الكلمات ؟

ببساطة..

هل هناك مجرمون شعراء أو أدباء عبروا عن إجرامهم ودوافعه ؟

وهل صور الحاقدون حقدهم شعرا بأمانه وصدق كما يصور العاشقون حبهم وهيامهم ؟

وهل ترجم الكاذبون خداعهم وزيفهم نثرا ؟

هذا الشك يجر معه شك أكبر بمصداقية الإنسان في رؤيته لذاته بشفافية وتجرد وصدق مطلق، أم أن الشاعر لا يكون شاعرا إلا إذا فقد اتصاله بالواقع بوصفه كائنا غريبا وغير سوي كما يراه العامة وباعتباره باحثا عن الفردوس المفقود لهذا يداعبه التعبير الشعبي المألوف " شاعر ومشعور " ليعكس إحساس

العامة منا بذلك الجانب المعطوب من عقول الشعراء ومخيلتهم الممسوسة بأكثر من شيطان..

ومع ذلك يبدو ليس هناك أفضل من مجانين الأرض ليمثلوا سكانها العقلاء في الفضاء الخارجي..

وعلى فرض أن الشعر القديم والحديث يمثل حضارتنا الإنسانية بصدق فهل ستفهم أو تصدق تلك الحضارات الأخرى أن هناك إنسانا يمثل هذه الشفافية والمشاعر المرهفة التي تنبض بها قصائده يعيش على أرض مليئة بالشر والطغيان والحروب والجرائم والأحقاد.

بعد هذا..

هل علينا أن نتوقع أم نجزم بأنهم سيصدقوننا لا محالة..

إذ أن خمسين عاما من الانتظار قبل أن نسمع رأي سكان الفضاء في أشعارنا تبدو كافية لنحول هذه الأرض إلى عالم يليق بتلك القصائد.

المهم أن شعراء السويد في الانتظار ! وقد سبقونا حتى في حماقاتهم.

عريس "لقطة"

مؤكد أن خبر الاحتفال الشبه سنوي بتزويج طفلة هندية من (كلب) قد يثير الدهشة أو الاستنكار أو التعجب أو الشفقة أو الاحتقار لتلك الطقوس البدائية التي لا قرابة لها بمنطق أو أخلاق..

ومؤكد أن السبب لا يكمن في سن الطفلة الصغير بقدر ما تركز في شخص العريس (الكلب) وهو جالس إلى جوار عروسه يمارس طقوس بشرية في احتفالية زواج جمعت بين الإنسان والحيوان ..هذه الصورة التي تصدرت صفحات الجرائد منذ أيام .. كانت لوحة حيه أشبه باللوحات السريالية جمعت ما بين رمز البراءة ورمز الوفاء ..

وبعيدا عن المقاييس المألوفة فان هذه الصورة حركت شهيتي للدفاع عن هذا العريس ذو الأذنين الكبيرتين فالواقع أني أكن احتراما خاصا لفصيلة الكلاب التي أعشق والمشهود لها بالوفاء الخرافي .. تماما كما أقدر صداقة الدلفين الحميمة .. وكما تدهشني رومانسية حصان البحر .. الكائن الساحر الذي يستمر زواجه مدى الحياة وإذا حدث انفصال فانه يرفض الارتباط بشريك آخر . بعد لقاء راقص في دورة غزل تتكلل بزواج أبدي .. هذه الكائنات تعتمد على غريزتها في ممارسة

الوفاء والحنان الفطري بينما يعتمد الإنسان على غريزته وعقلة معا في ممارسة شتى صور العنف والقتل والابتزاز وتتعدد دوافعه كما تتعدد أساليبه المتطورة مدعومة بالعلم والتكنولوجيا لتدخل نماذج الوفاء والتضحية في خانة الأحداث الغير مألوفة فنتحدث عن روميو وجولييت وكأنها نماذج أسطورية لا تتكرر إلا نادرا.. ونذكر قيس وليلى وكأن نجم الحب والوفاء قد أفل بأفول نجمهم .. وننبش التاريخ بحثا عن قصص الإخلاص والتضحية والصبر والوفاء والصدق والشجاعة والأمانة .. لنضرب بها الأمثال..

اليوم تمنح الزوجة الوفية زوجها الأعمى إحدى عينيها ليكافئها بالزواج من أخرى !

اليوم يحرق الشاب فتاته بماء النار إذا ما رفضت حبه الكبير!

اليوم يطعن الصديق صديقه ويتخلى الأخ عن أخيه في لحظة شيطانية !

اليوم تقطع الزوجة زوجها إربا لتملى به أكياس الزبالة لأنها غاضبة !

اليوم يخون الزوج شريكة حياته في نزوة !

اليوم تمتلئ المقابر الجماعية بعظام بشرية بلا هوية أو محاكمة في عصر الحضارة والقانون !

اليوم تكتظ دور المسنين بغرائب القصص في أرذل العمر !

اليوم بتنا نبحث عن الدفء الإنساني فلا نجده إلا في عالم الحيوان .. برفقة مخلوق محب و أليف .

فإذا ما كانت قيم كالإخلاص عملة نادرة ننقب عنها كما ننقب عن الذهب في حقول تمتلئ بالمعادن الصدئة والرخيصة وإذا ما كان الوفاء قيمة مطلوبة وأساسية لاستمرارية الحياة .. لا يكون هذا العريس (الكلب) ذو الأذنين الكبيرتين سيئا إلى هذا الحد .. بل ربما أصبح بالمقاييس الغير مألوفة ...عريس " لقطة "

وســـــــــــــامحوني ......

لبن العصفور

يؤكد البعض أن هناك حبا حقيقيا وأن البحث عن هذا الحب قد يستغرق عمرا آخر غير أعمارنا .. وفي محاولات أخرى لإضفاء ثقل ومعنى وقيمة لموضوع الحب يدعون انه الشعور الذي لا يموت والإعصار الذي لا يقف في طريقه شيء..

ولأنني شاعرة الكلمة الرومانسية ، لن أرمي زجاج المحبين أو العاشقين بحجر ولن أتبنى فلسفة مناهضة تشكك في هذه الرؤية الحالمة لموضوع الحب باعتباره فكرة هلامية قابلة للتشكيل والذوبان حسب مقاساتنا العاطفية ومناخاتنا الفكرية

لن أقول أنه لا يوجد حب حقيقي لأنني ببساطه لا أريد أن أغتال أجمل قصائدي في الحب .. ولن أسوق الأدلة التي تجعل من منطقي مادة قابلة للهضم لأني لا أريد أن أشوه وجه الحياة.. كما لن أحلل الحب من منظور علمي فأقول أنه ليس إلا إشارات وأوامر يرسلها المخ إلى القلب لنمارس عليه خديعتنا ..حتى لا أبدو مستقبلا كحمقاء إذا ما وقعت في شركه ..

لكنني سأدعوكم إلى حيرتي وأقول لماذا ؟؟؟

لماذا تتلاشى الأشياء إذا كانت حقيقية ؟

لماذا نشعر بسخافتنا عندما نقرأ ما كتبناه يوما في الحب والحبيب ؟

لماذا تدخل قصة حبنا سن اليأس وهي عروس ؟

لماذا يخلع الحب تاجه الجميل إذا ما كللناه برباط أبدي مقدس ؟ وأصبحنا أزواجا

لماذا تزيل أشهر نجماتنا وأجملهن وشم الحب عن جلودهن بعد قصص حب أسطورية بزمن قياسي ؟

لماذا يلفظ هذا الكائن أنفاسه سريعا .. إذا لم ننفخ في رئتيه الهواء فيموت ويخذلنا ؟

لماذا إذا أشعلنا نار الغيرة لننعم بدفئه .. احرقنا ؟

لماذا إذا كنا أوفياء له خاننا ؟

لماذا إذا عاندناه .. لم يسامحنا وقتل فينا أمانينا؟

لماذا إذا عبدناه أذلنا ؟

وإذا تذكرناه نسينا ؟

لماذا يغير الحب فرسانه ويدعي أن العيب في زماننا وفينا ؟

لماذا إذا ساومناه على حريته .. هجرنا ؟

هذه اللماذا ؟

كم تبدو في طلتها ساحرة .. خبيثة .. وشريرة !

لكنها لن تهزمنا .. نحن قوم لا نحب ثقافة التعري .. وسوف نستر حيرتنا برداء الأمل .

سوف نقول أن الدنيا لا زالت بخير !

وأن جرائم الحب التي ترتكب خارجة عن المألوف..

وأن الخيانة لها أسبابها ودوافعها وأعذارها فافهمونا !

سوف نحلم بقصص حب جميلة كالتي عاشها أبطال التايتنك .. حتى حسدناهم على نعمة الغرق ..

سوف نبقى رغم ضياعنا نطارد وجه هذا الوهم الجميل في الطرقات.

وسوف نبقى نسعى للحب الحقيقي ..

وسوف نبقى نطلبه ببساطة .. وواقعية .. وشفافية وطفولة بريئة !

فمن قال أننا نطلب لبن العصفور ... ؟

لست أنا الفاعلة ... صدقوني .

الراقصات ..

هل يسحقن رؤوس المبدعين بجرة قلم

موجة جديدة وغريبة تجتاح الوسط الفني والإعلامي ومع هذه الموجة تغزو المذيعات عالم الفيديو كليب وتكتسح المطربات المسارح والتلفزيونات وتبرز عارضات الأزياء في مجالات قد لا يكون لها علاقة بالموضة والأزياء...

بدءا من المذيعة رزان المغربي دخلت عالم الفيديو كليب وتستعد لخوض تجربتها السينمائية الأولى لتجمع بين الإعلام المرئي والغناء والتمثيل .. وتحمل البطيخات الثلاث في يد واحدة ..

وانتهاء بهيفاء وهبي وغيرهن كثيرات.. بتنا يشكلن ظاهرة ملفتة فجرتها أخبارهن المتتالية في الصحف والمطبوعات التي يسيل لعابها أمام إغواء الكسب وإغراء الربح المادي.

إن الواقع الذي نفهمه يؤكد أن المؤثرات والتقنيات الحديثة المستخدمة في تصوير أغاني الفيديو كليب تطورت بحيث أصبح من السهل والممكن التدخل في كافة تفاصيل العمل الفني ليخرج مقبولا وناجحا بمقاييس نجاح أغنيات هذا العصر.

لكن الذي قد يصعب علينا فهمه أن تقوم راقصة كالراقصة دينا بدخول عالم الشعر لتجمع ما بين الرقص الشرقي والأدب وما بين بدلة الرقص وبدلة الثقافة ..

فهل هي الصحوة المتأخرة أم العدوى مجهولة الهوية والمصدر ولا يعلم أحد الوسيلة التي اجتاح بها هذا الفيروس الوسط الإعلامي والفني وإلى أي أسس وقواعد ترتكز تلك القفزات الجريئة التي غالبا ما أصبحت تلقى القبول والترحيب من قبل جمهور المتلقين.

لست ضد التنوع والجمع بين المجالات الفنية المختلفة أو المتقاربة ولكن بعيدا عن الخوض في قضية تصنيف الرقص الشرقي في خانة الفن أو العلم أو الترفيه أو الابتذال، فان هذه الصحوة التي اجتاحت الراقصة المثقفة صاحبة الشهادات العلمية دينا بعد الفضيحة العاصفة تشكك في مصداقية هذه الشعر الذي تكتبه راقصة على مشارف الأربعين اكتشفت موهبتها الشعرية وميولها الأدبية متأخرة جدا مما يجعلنا نسأل عن الغاية من إصدار ديوان شعر لتنتقل ما بين الرقص على أنغام الموسيقى إلى الرقص على إيقاع الكلمات واللعب بالمعاني والمصطلحات

فهل للرقص روافد قد تصب في نهر الكتابة والإبداع .. وهل يمكن أن تلتقي أو تجتمع لغة الفكر ولغة الجسد في مهنة واحدة ذات وجهين .

فلأعترف بأن الخبر أثار حفيظتي ..

وبعد أن تقبلنا دخول المطربات عالم التمثيل وهضمنا دخول ل المذيعات عالم الغناء.. لم أستسغ دخول الراقصات عالم

الشعر ... ليس غيرة على موروثنا الشعري ومكانتنا المميزة كشعراء فحسب بل خوفا على الشعراء والأدباء من صدمة نفسية مريرة إذا ما فاقت مبيعات دينا الراقصة من ديوانها الشعري مبيعات جبران خليل جبران أو نزار قباني ومعظم الشعراء الذي قضوا أعمارهم بين أكوام الأوراق والكتب معتقدين ربما خطأ أو جهلا بأن الأدب هو أرفع أنواع العلوم والفنون وأن الكلمة إنما هي رسالة.. وأنهم طبقة مثقفة لها عالمها الخاص الذي لا يدخله إلا المبدعون.

فما هو رأي الشعراء ؟

وهل نلغي فكرة إصدار الدواوين الشعرية المقبلة حتى إشعار آخر نعرف معه أين موقعنا على حلبة الرقص الثقافي في عصر تحرر حتى من ورقة التوت التي كانت تغطي عورة الواقع الحالي..

أم ننتظر فقد تصرح دينا بأنها قد تراجعت عن فكرة إصدار ديوانها الشعري تماما كما تراجعت عن فكرة ارتداء الحجاب والاعتزال.

وبين هذا الخيار أو ذاك..

تدخل أبسط حقوقنا الأدبية والمعنوية خانة التمني بالا تسحق الراقصات رؤوس المبدعين ..

بجرة قلم .

هلوسة نسائية

" لو أتيح للنساء السيطرة على العالم فسيصبح أكثر أمنا وازدهارا وعدالة في فترة زمنية وجيزة "

لم يكن ما قاله تيرنر الملياردير مؤسس قناة "سي ان . ان " بين قوسين شطحا من خيال أو هلوسة إعلامية إنما حاول أن يبرهن على صحة اعتقداه بان الرجال أساءوا إدارة العالم بالمبالغة في صناعة الأسلحة والإنفاق العسكري من خلال تأسيس منظمة "تيد تيرنر " التابعة للأمم المتحدة والتي غالبية أعضاء مجلس إدارتها من النساء ، وهو طبعا ما يحدث للمرة الأولى في منظمة هامة تعنى بتنفيذ برامج تشمل القضاء على الفقر والمساعدة في مكافحة الإيدز وغيرها من الأنشطة الاجتماعية.

ربما أراد تيرنر أن يذكرنا كم تبدو الإنسانية بقيادة الرجل وكأنها ديناصور لم يعد يطيق حجمه فأخذ يلهث خلف تأمين وسيلة انقراضه حينما أصبحت القنبلة الذرية بطلة مسرح الصراع السياسي .

فكيف يبدو العالم لو أتيح للنساء فرصة إدارة شؤونه لمدة سنة مثلما اقترح تيرنر .. وهل يصبح في ظل المرأة أكثر أمنا وسلاما ؟

ترى هل ينهار العالم تحت إدارة حواء العاطفية وهل تكون سببا في خرابه كما كانت سببا في طرد آدم من الجنة ؟

لو فرضنا أن شاروون امرأة .. هل كان سيكتفي بما أريق من دماء على مذبح القضية الفلسطينية

ولو فرضنا أن رئيس أعظم دولة في العالم امرأة .. كيف سيكون حال أطفالها الصغار المندسين تحت جناحيها ؟

ترى ماذا لو كان رؤساء الدول ورؤساء الوزراء أو علماء العالم من النساء؟

كيف يمكن أن تكون قيادة المرأة بعقلية الأم الحانية ؟

هل هي المرأة من سيسعى إلى تحويل ميزانيات أسلحة الدمار إلى مشاريع أكثر تماشيا مع طبيعتها الدافئة فتقل معدلات الفقر والمرض والأمية والجريمة؟

هل هي المرأة من سيروض غول العالم حتى لا ينقلب على صاحبه الإنسان فيفترس آدميته؟

لو أخذنا بقول تيرنر ومنع الرجال من شغل الوظائف العامة هل سيأخذ تقدم ونمو العالم بعدا آخر أو ازدهاره شكلا مغايرا؟

هل سيبدو وجه هذا العالم القلق المخذول أقل بؤسا وحزنا وحيرة ؟

وهل تبدو المرأة جديرة بهذه المهمة الأكثر خطورة على الإطلاق ؟

تقول أحلام مستغانمي في إحدى قصائدها

"أنا المرأة الزوبعة

فقل للنخيل يطأطىء حتى أمر "

ترى لو فعلت المرأة .. هل يمكن أن تمر على التاريخ مرور الكرام ؟

لا نعرف ...

لكن ....

فقط انسوا الموضوع واعتبروها مجرد هلوسة .

إصبع الحظ

مثير أن يكون للذكاء ملكة كما للجمال ملكات وان كان ليس لذكاء الأنثى وزن في عقيدة الرجل..

فالإثارة كل الإثارة أن نستمتع بهذا الجانب من الجمال بعدما أصبحنا نفتقده بشده مع كل مسابقة يتم فيهما اختيار ملكة جمال لديها شيء من هذا الجمال ولا شيء من رفيقه الذكاء.

تدرك فتياتنا هذا النقص ولهذا لم تجرؤ واحده من جميلات لبنان على اختيار الحظ وتفضيله على الذكاء في السؤال الموحد الفاصل الذي وجه لهن لتختار كل واحدة بين أن تكون امرأة ذكية أو امرأة محظوظة.

والغريب أن يكون هناك من يتردد في الاختيار ما بين الذكاء والحظ ؟

إذ أني أرى الأمر محسوم وسأعود لأخبركم لماذا..

أما انحياز المتباريات إلى اختيار الذكاء فلم يترجم أي ذكاء على الإطلاق إذ أن الإجابة أيضا جاءت موحده وعفوية وبدون تفكير فحاولن إثبات هذا الذكاء بإجابة ليست من

بنات أفكاره ثم بررن هذا الاختيار بجواب لم يكتشفه أذكيـــاء هذا العالم بعد عندما قلن " أن الذكاء يجلب الحظ "!

والمرأة الذكية تستطيع أن تكون محظوظة!!

في حين كنا ننتظر مبررا أكثر إقناعا كأن يقلن بأن النجاح الذي نحققه بذكائنا ومجهودنا ذا نكهة خاصة لا يمنحنا إياهـــا حظنا.

فهل حقا الذكاء يأتينا بالحظ ؟

والحظ في لغتنا العربية ليس سوى النصيب والقدر..

ولكن ما الحظ وما أدراك ما الحظ ، فمهما تسلحنا بـــالعلم ووسائل المعرفة ومستوى الذكاء والفطنة فـــان الواقـــع علـــى الأرض يقرأ لنا قرأه ثانية بشكل مختلف وغير مـــبرر ومغـــاير لطموحاتنا ولا يشفع لنا أن نمتلك كل مواهب العالم بأسره إذا ما الحظ عبس في وجوهنا.

ومثلما يقع بين العلم والدين سؤ تفاهم وانسجام فان بـــين العلم والحظ قطيعة وهجر أيضا ..

والتحليل الأقرب إلى المنطق والعلم هو اعتبار الحياة ليست سوى بضعة فرص متاحة لا يمكن أن تتكرر والفرق بين الناس هو في مدى استثمار تلك الفرص طازجة حال خروجها مـــن

فرن النصيب.وبهذا يصبح الحظ أبعد ما يكون عـــن أوهامنـــا المفترضة حوله وأقرب مـــا يكـــون إلى التخطـــيط والـــتفكير والاجتهاد وتوظيف الفرص.

وإذا كان أصحاب هذا الرأي العلمـــي لا يتفقـــون مـــع أصحاب الرأي الآخر من المؤمنين بعلم التنجيم والباحثين عـــن زاوية (حظك هذا الأسبوع) فانه يحق لهؤلاء الغيبيين أيـــضا أن يروا في هذه الفرص نوع من أنواع الحظوظ.

كانت جدتي واحدة من المتغنيات بالحظوظ وما تفعله مـــن أعاجيب آملة في أن يكون لي حظ أكثر بياضا مـــن بـــشرتي السمراء التي ورثتها مع جيناتي الأدبية عن والـــدي ولم يكـــن سماري يوحي لها بمقاييس جماليه حين كانت تردد قائلة " إصبع بخت ولا خزائن مال وجمال " لكني متأخرة جدا أدركت أني لا املك هذا الأصبع السحري الذي تنبأت لي به ولم يكن أمامي إلا أن اعتز بلوني القمحي الذي أحبه وحـــسي الأدبي الـــذي أجله.

هل كانت على حق ؟

في الأغلب.

أما لماذا أرى الخيار بينهم محسوما لصالح الحظ فلأنه ما بين نعم أو لا .. يتعذر الوصول إلى حل وسط مع هـــذا الكـــائن

الزئبقي المسمى الحظ ، لكن المؤسف أن هذا الحظ في الغالب يتواطأ مع الكسالى والفاشلين والأغبياء،

ولم لا..

أليست وظيفة الحظ أن يكون حظا؟

وهدف اليانصيب أن يقع على اسم مجهول لشخص محظوظ لم ينتظره أو يتوقعه أو حتى يستحقه.

صحيح أنه ليس هناك ما يثبت وجود شيء اسمه الحظ لكنه شائعة حقيقية صدقوني..

ولو كنت احدي المتباريات في مسابقة ملكات الجمال لاخترت الحظ وتنكرت لذكائي فهو كفيل بأن يجلب لي التاج مهما كانت إجاباتي سخيفة وجمالي متواضع وثقافتي معدومة.

بعض الإجابات الذكية لملكات الجمال :

- المحبة والتواضع يطوران المجتمع!
- وزارة الخارجية تؤمن كل شيء بالبلد !
- أتبنى ولدا لو أن زوجي لا يريد أطفال!
- أختار الصديق لان اللقب يأتي مرة واحدة بالحياة !

المرأة الدمية والرجل القصيدة

قلما تأتي المخلوقات الأخرى من فصائل حيوانية بتصرفات شاذة أو خارجة عن المألوف في طبيعتها الفطرية، لكن هذا الإنسان خليفة الله في الأرض لم يتميز بسيادته فقط لكنه تفنن في الخروج عن طبيعته البشرية وتفننت وسائل إعلامه في التقاط الصور والمشاهد اللاانسانيه وإبرازها بهدف التسويق والإثارة أو بهدف خلق علامة تعجب (!) في ذهن المتلقي وحمله على التساؤل .. ما هذا الذي يحدث في حياتنا الاجتماعية ؟

جملة عناوين للصفحات الأولى والأخيرة في جرائدنا تنبي بوقوع كارثة كتلك التي نشبهها بعلامات يوم القيامة فمن رجل عقد قرانه على دميته المدللة سوزي في ثم طلب الانفصال رسميا عن شريكته الدمية إلى برامج تلفزيونية وحلقات ثقافية تناقش أسباب غيرة الزوج من الكلب حبيب زوجته! إلى جرائم على مستوى أكثر خطورة ودموية من جرائم قتل وتقطيع لقصص يندى لها جبين المنطق.

مؤكد ليست أخبارا حديدة العهد لكن التقدم التكنولوجي في عصر العولمة جعلها تأتينا ساخنة طازجة مع الجريدة اليومية كخبز الصباح.

هذه الكرة الأرضية يبدو نصف سكانها وكأنهم جالسون يحتسون فنجان قهوتهم في دهشة فيما يبدو النصف الآخر منشغلا في سباق محموم للتمرد على مفردات الحياة والخروج عن المألوف في لحظات الغضب أو الألم أو الخذلان لكننا ونحن المندهشون في ازدراء من هذه الحوادث والتصرفات اللامنطقية لم نضطر يوما للتخلي عن هذا المنطق أو الهروب من ألم الواقع إلى واقع أكثر ألما وبشاعة ذلك أن النار لم تشتعل في ملابسنا حتى نركض في الهواء الطلق صارخين فتزداد اشتعالا فيما أصحاب المنطق يقولون بأنه كان يجب أن نقفز في الماء.

نعم معذورون..

فلو كنت مكانه لتزوجت دمية ولو كنت مكانها ربما فضلت كلبي المخلص.. لو عانيت الفقر المدقع ربما ارتكبت جريمة.. ولو وقع علي ظلم قاهر لربما تحولت إلى قنبلة انتحارية فتناثرت أشلائي على قارعة الطريق.. نعم معذورون يا سادة.. كل يكسر صنم المنطق بأداته.

قبل أن تستنكروا سأبدأ بنا..

نحن الشعراء نكتب الشعر لكي نخلق ونحلم بعالم أجمل على حساب المنطق والواقع..

ننتصر في معظم الأحيان للقصيدة على حساب الحياة كما فعل الشاعر اللبناني شوقي بزيغ الذي بقي أعزب نصف قرن فأضاع حبيباته واحدة تلو الأخرى انتصارا للقصيدة وحينما

تزوج مؤخرا أعلن بشجاعة أنه تزوج هروبا من خوف اكبر في خريف العمر!

أنا شخصيا أفضل رجل القصيدة على رجل الحياة.. وكأني تزوجته كما تزوج هذا الرجل دميته وتمرد على المرأة الحقيقة بلحمها ودمها.

كلنا يفعل بطريقة ما.. كلنا يركض مشتعلا بثيابه ليطفئها بطريقة غير منطقية.

لماذا ؟

من شدة الألم..الخوف..والحيرة.. نركض هاربين، صارخين..

لسان حالنا يقول "أنا افعل إذن أنا موجود وأتألم"

هذا الوجود الفلسفي..

هذه الحاجة المعنوية لا يحتاجها سوى الإنسان فيما تبدو المخلوقات الأخرى موجودة قانعة وليست مضطرة لإثبات هذه الحقيقية سواء بطريقة سويه أو غير سوية..

منطقية أو لا منطقية

عند هذه الحافة فقط من الألم قد يتحول أي منا إلى بطل لأحد هذه العناوين في جريدة يومية.

لم لا..

وكل شيء معقول.

شعراء بثلاثة عيون

في لحظة عبث أو تقمص أو ربما جنون قــررت أن أوكّــل قلمي المشاغب وأنصّبه محاميا للدفاع عــن كــل ملعــون في قاموسنا الاجتماعي..

عن السالب قبل الموجب..

والقبيح بدل الجميل

أما كيف ولماذا ؟

فلنجرب كيف يمكن أن نرى الحياة من زاوية أخرى.. بعين أخرى، على اعتبار أن الشعراء كما يرى الــشاعر إيليــا أبي ماضي كائنات غريبة لها عين ثالثة ترى ما لا تراه العيون وأذن تسمع ما لا تسمع الآذان فلنا أن نتسلق حبال الفكــر ونمــلأ الكأس من خمره الخيال.

إذن سأركب فرس خيالي.. ؟

فقد يكون لكل قبيح وجه مجهول.. ولكل ذنب عذر مقبول

هذا إذا ما نظرنا بعيون غير العيون

ورفعنا لعنتنا عن الملعون

وبناء عليه..

فاني في مرافعتي عن موكلي التطرف مثلا..

أسألكم هل أجمل من أن نحب بتطرف.. نغضب بتطرف ونغار بتطرف.. وهل كانت أعظم قصص الحب والعشق رائعة ومضرب للأمثال إلا بتطرف أصحابها في عشقهم، وهل أروع التضحيات العظيمة إلا بتطرف أصحابها في عطائهم وهل كتبنا أجمل القصائد إلا عند هذه النقطة التي تتهيج عندها العاطفة تارة تصل إلى حد التجمد وتارة إلى حد الغليان.

أما موكلي الكذب.. فلديه ما يكفي لإغوائنا ولا أظنه يحتاج قلما بارعا لتلميع عبثه وافتراءاته، فمنه الأبيض والأسود والرمادي والملون بألوان تنقذنا من ألف مطب ومطب ... بل وأحيانا للكذب فضائل تخلصنا من الحرج،تستر خصوصياتنا وتضيف البهارات إلى حياتنا العاطفية يلجأ إليه العشاق والمحبون أن احتاجوا إلى مرواغه تعلق الحبيب.

ألا نستخدم الكذب في وصف المذهل أو فائق الطرافة أو الجمال فيقال (مثل الكذبة)

الم يصبح له عيدا كعيد العشاق لكثرة الراغبين في اللعب على حباله طالت أم قصرت..

هل سوى الكذب لبعض جمال الشعر مصدر وهل أجمل الشعر إلا أكذبه..

أما موكلتي الديكتاتورية..

فلا داعي لنذكر ديكتاتور هذا العصر أو نترحم على أيامـــه السوداء بعد أن أصبحت أياما أكثر سوادا لكن ألا نحتاج بعض هذه الديكتاتورية والحزم والهيبة وفرض الـــسيطرة في التربيـــة والتعليم والتقويم

ثم ما بها الأنانية؟

ألا نحب أنفسنا أولا حتى نقوى على حـــب الآخـــرين.. أليست أنانيتنا التي تحفظ لنا حقوقنا ؟

أنظروا كم هي المرأة المعطاء غالبا مسحوقة

وانظروا كم هي المرأة الأنانية أحيانا مشتهاة

وما به الغرور.. ما بها النرجسية ؟

الم يخرج من بين أنيابها القاسية ومن خلف أسوارها المتعالية أعظم المبدعين والفنانين وعظماء التاريخ..الم يعرف المتنبي بأناه العالية ونرجسيته الفائضة فأعلى القصيدة وهـــو الـــساعي إلى الكمال والعظمة قائلا:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي

وأسمعت كلماتي من به صمم

ما بها الفوضى ؟

أليست لذيذة بعد طول انتظام

ما به الجهل ؟

أليسوا جهلائنا الذين يعمون براحة البال والطمأنينة غارقين في بحور الجهل قانعين غافلين

ما بها الخيانة ؟

الخيانة !!

الخيانة.....................

أعتذر لموكلتي عن الدفاع عنها وأسحب قضيتي بهدوء

الكروموزوم المشاغب !

كنا نعتقد أننا نصول ونجول في هذه الأرض حتى اكتشفنا أن أرضنا التي تدور فينا ..

وكنا نتصور أننا بثقلنا الجسدي والعقلي ثابتين بأقدامنا عليها قبل أن نكتشف سر الجاذبية الأرضية وندرك أننا بلا ثبات .

ما أكثر أوهامنا وما أخطرها، نحن خلفاء الله في الأرض.

اليوم وبعد أن تبجحنا وتفاخرنا بتميزنا البشري وبأننا أصحاب الفضل والإرادة والاختيار في سلوكياتنا الاجتماعية نكتشف في ثورة طبية جديدة (كتاب الحياة) أو مشروع الجينوم البشري هذا الكتاب الجديد الذي فسر الإنسان تفسيرا مختلفا، قلب الطاولة وكشف الستار عن هذا الكروموزوم المشاغب المسئول عن الإدمان والاضطرابات العاطفية والاكتئاب وغيرها ثم جينات للوفاء أكثر إثارة (جينات أخلاقية) جعلت فأر التجارب مخلصا لزوجته عن طريق التدخل الكيميائي في أحد الهرمونات داخل الدماغ .

هذا الشريط الو راثي أو DNA الذي يحتوي على أكثر من ٣٠ ألفا من الجينات لا يبدو الاكتشاف الأكثر إثارة في

عالم الطب فقط بل ويبدو أيضا الزلزال الأكثر خطورة وقـوة على قشرتنا الأرضية.

لماذا ؟

ليس لأن مليء جميع الفراغات الموجـودة علـى خريطـة الشريط الو راثي يجعلنا في مكاشفة ومواجهة مع حقيقة هـذا الإنسان بل لأنه يجعلنا في مواجهة أكبر مع فلسفة الحيـاة وفي صدام أعمق مع معتقداتنا الدينية وثوابتنا المتجذرة كالأشـجار المعمرة.

فكيف لجيناتنا أن تقول لنا من نحن ؟

كيف لصفاتنا أن تخلعنا وتستقل بذاتها عنا ؟

كيف يكون لها أرضها وخرائطها ومسئوليتها التي تفـوق مسئوليتنا ؟

كيف لجيناتنا أن تشاركنا توجهنا وإرادتنـا في أجـسادنا ورغباتنا وميولنا وذكاءنـا وعواطفنـا وإجرامنـا وفـضائلنا ومعاصينا؟

هل يأتي اليوم الذي لا نجد فيه مجرم مسئول عن جريمته..

أو خائن متورط بخيانته إلا بما شاءت جيناته الو راثية

هل يأتي يوم لا نجد فيه محامي يقف في حضرة المحكمة بدون أن يحمل خريطة موكله الجينية ؟

هل الخلاصة أننا نحيا ونموت على ما نحن عليه ؟

خائنين بالفطرة

مخلصين بالفطرة

كاذبين بالفطرة

مدمنين بالفطرة

مكتئبين بالفطرة

تريدون الخلاصة ....

لم تحيرني هذه المفاجأة الجينية بقدر ما حيرني موقعها وثقلها في ميزان العدالة الإلهية.

للكذب أيضا فلسفة!

لا نكذب نحن النساء لكنا نتجمل ..

نستخدم مساحيق التجميل إضافة إلى كوكتيل من فنون الدلع والدلال لجذب انتباه الرجل في عملية خداع أنثوية يذهب ضحيتها محترف آخر للكذب هو الرجل الذي يستخدم بدوره مئات من أبيات الشعر والكلمات المعسولة لجذب انتباه المرأة ودغدغة مشاعرها .. فهل حقا يعشق الرجل بعينه والمرأة بأذنها ؟

وهل نعجب أن أصبح الجمال للمرأة هاجس والغزل للرجل حرفه؟

نستطيع أن تستنتج أيضا أن المرأة تحتاج إلى رجل سطحي لينبهر بجمالها كما يحتاج الرجل إلى امرأة غبية لكي تصدق إطراءه وتأكل طعم صنارته!

وإذا كان الرجل عاجزا في معظم الأحوال عن تذوق جمال المرأة بعيدا عن مظهرها الخارجي فهل علينا نحن النساء أن نكون جميلات ونصمت ؟

في الأغلب نعم ..

كوني يا سيدتي جميلة واصمتي ..

وكن أيها الرجل في المقابل كاذبا وكفى ..

بذريعة أن الكذب ليس سوى فلفل الحياة فأكثر منه ما شئت ، لم لا وما زالت ملايين المشاهدين لا يمانعون في متابعة فيلما هنديا لم يترك الكذب فيه للحقيقة ما يحفظ حتى ماء وجه السينما .

لكن إياك أن تشكو فساد الطبخة أو انقلاب المائدة على رأسك إذا ما صادفت امرأة ملت من الكذب الذكوري حتى كرهته..

ففي نهاية المطاف ليس للكذب أرجل طويلة إلى أبعد مما تريده هي .

وبعيدا عن لعبة الحب ..

يبقى الكذب كما يقول ابن المقفع بأنه "رأس الذنوب" لما ينتج عنه من أذية وما يفقدنا في هذه الحياة من بهجة الاستمتاع بتفاصيلها عندما تتحول إلى مجرد كذبة!

فإلى أي حد نعني ما نقول بصدق وإخلاص ؟ وهل انقرض الصدق في القول والأمانة في العاطفة ؟

من منا ينكر أن للحظات الحياة مذاق أكثر من رائع عندما تكون حقيقة بلا رتوش.

لكنا نكذب ؟؟

لماذا ؟

هذا السؤال بسيط حد السذاجة وعميق ومعقد حد الحيرة..

فنحن غالبا ما نرفض الكذب وندين الكذابين في الوقت الذي نكذب سرا وجهرا، خفية وعلانية..

نغضب عندما يكذب علينا الآخرون وننسى أو نتناسى أننا عندما نكذب عليهم نكذب براحة بال وضمير بل ليست سوى (شطاره) !

إلا أن حقيقة الأعمال بالنيات ..

فما أكثر المبررات والتسويغات المناسبة لتفلسف الكذب بكل ألوانه ليصبح مقبولا ومستحسنا .

هذا هو حالنا مع قيمنا الأخلاقية التي حيرتنا واحتارت معنا!

الأغرب أن الحيوانات أو الكائنات الحية الأخرى لا تكذب فلماذا يا ترى يبدو الكذب صنعة بشرية بامتياز ؟

لماذا يحتاج ابن الإنسان إلى عملية تربوية معقدة للوصول إلى تحقيق الفضائل وتعزيز قناعته بضرورتها ؟

والى أي مدى يمكن أن تكون كذبة نيسان خفيفة في الميزان؟

ثم هل من فلسفة يمكن أن تحول الكذب إلى مزحة لذيذه أو فضيلة أحيانا ؟

اغفروا لي تمجيدي الفلسفي للكذب احتفاء بكذبة ابريل ليس إلا ، فالكذب لا يخلو من بعض الفوائد وهو ما خلصت إليه دراسة اجتماعية أجرتها جامعة كاليفورنيا الأمريكية حين أكدت أن الصدق بمعناه المطلق قد يضر أكثر مما يفيد تحديدا بين الأزواج وأن هناك صدقا قبيحا أو مدمرا على حد قول "سيزو كينث" المشرف على هذه الدراسة . تماما كما في الجانب الآخر مواقف وحالات لا ينفع فيها هذا الكذب الأبيض كالأزمات المالية والصحية .

بدوري أتساءل .. إلى أي حد يمكن أن تنطبق نتائج هذه الدراسة على مجتمعاتنا الشرقية؟

وهل هناك كذبا مباحا وآخر غير مباح ؟

هل للأمر صلة بمدى قدرتنا على التسامح مع أي من هذه الأكاذيب ؟

الأهم ..

أننا اعتدنا أو درجنا على الاعتقاد بأن حبل الكذب أو عمره قصير وأنه بلا أرجل..

فهل هو دائما كذلك في بياضه كما في سواده ؟

أم أن له أرجل وأيدي وحبال قد تطول إلى ما لا نهاية ؟

سؤال محير أتمنى لو أطرحة على من يحترفون الكذب على أرض الواقع بإصرار احسدهم عليه ..

على أن لا تكون الإجابة مجرد " أكذوبة واقعية" !!

وفي يوم آخر لا يمت إلى أول ابريل بصله.

ابتسمي فأنت عانس

الحياة حفلة تنكرية نقتات فتات عبثنا على أطباقها ، حيث تكثر في بلاطها النفايات الفكرية في العقول لنشعر وكأننا في مجتمع يعاني من الشيزوفرانيا أو الفصام وهي في الطب النفسي حالة من اضطراب العقل يمكن ملاحظته من خلال ضعف الترابط المنطقي في التفكير والسلوك.

وإذا كان هذا هو التعريف الشائع لنشيزوفرانيا فمن سوانا يسلك ويتحدث ويتعامل مع الآخرين بطريقة تبدو طبيعية تماما ويقوم بتصرفات مغايره وكأنه فرد آخر في أحيان أخرى؟

هذا الفصام يظهر جليا سواء على المستوى الشعري أو الأخلاقي أو المجتمعي..

نقول عكس ما نفعل ، ونكثر من التشدق بالألقاب والأوصاف بشكل مجاني لتتحول فيما بعد إلى ثقافة تناقض الواقع والحقيقة بل والمنطق.

الأمثلة قد تكون كثيرة لكنها تصب في الأغلب في الجانب الأخلاقي للمجتمع رغم أن الأخلاق ليست مطلقه وهي متغيرة باختلاف المجتمعات.

وفي معظم الأحوال فان الأحكام الأخلاقية تطال المرأة بشكل خاص نظرا للاستنساد ألذكوري الذي يتغذى على محاصرتها في حركاتها وسكناتها ..

في مجتمعاتنا الشرقية نستخدم كلمة (سافرة) و(عانس) و(عاهرة) وهي كلمات أو مصطلحات لا مقابل لها لوصف شريكها الرجل !

من هذا المنطلق فقط تصبح النظرة إلى صاحبات هذه الألقاب جائرة إضافة إلى تحميلها معاني لا تحتملها وإصرارنا عليها حتما سيدمر لغتنا الجميلة فالحجاب مثلا هو حجب الشيء وسافرة معناها كاشفة فأي امرأة تكشف وجهها تسمى سافرة وما زاد عن الوجه يسمى تبرج هذا بالرجوع إلى القاموس اللغوي ، وبعيدا عن اللغة هناك المعنى المكروه الذي حملناه للكلمات ومضامينها فالسافرة أصبحت تشبه في مفاهيمنا المتعرية والعانس تتجاوز مصطلح العز باء التي تأخرت في الزواج أو التي لم تتزوج لتشبه في صورها الفتاة المنبوذة والمعاقبة اجتماعيا لأنها لم تسرع أو تفلح في الحصول على زوج حتى كثرت البرامج والتحقيقات الصحفية التي تطرح وتناقش موضوع العنوسة وكأنه مشكلة أو كارثة اجتماعيه يعاني أصحابها أكثر مما يعاني سواهم من فئات المجتمع متزوجين أو مطلقين أو أرامل.

أذكر أن كتبت الزميلة الدكتورة زكيه مالله مؤخرا في الموضوع حثت فيه على تجاوز هذا المفهوم للفتاة التي لم تتزوج ل،ها لا تعاني إلا كما يعاني كل البشر في حال تزوجوا أم لم يتزوجوا أنجبوا أم لم ينجبوا تطلقوا أو ترملوا وغيرها من

الحالات الاجتماعية لأفراد المجتمع على اختلاف ظروفهم وأسبابهم في حياة لا تخلو من المشاكل والنواقص .

لكن الأمر لا يتوقف برأي الشخصي هنا .. إذ لا يجب أن نستجدي المجتمع بتغيير هذه المفاهيم المشوهة والاعتراف بازدواجيته الفكرية أو حتى نبذها فنحن من يغير نظرة المجتمع..

أما كيف ؟

فهذه مهمة أصحاب العلاقة ، فتخيلوا معي لو أننا أطلقنا على سبيل المثال لقب سافر أو عانس على رجل فانه سيضحك مستهزأ غير مبال ليفوت علينا فرصة ترسيخ هذه الألقاب أو مطالبته بالإذعان لها أما المرأة المستضعفة فتواجه الموضوع كمتهمة وكأنها مرشحة لفضيحة احتماعيه كبرى!

فإذا كنت أيتها المرأة سافرة فافتخري بسفورك لأن وجهك هو شخصك الذي تعتزين به ليس إلا.

تعاملي مع المصطلحات بقدر حجمها واقبليها كما هي في حقيقتها ..

وإذا كنت عانسا فابتسمي .. كما يبتسم شريكك الرجل معتزا بعزوبيته متفاخرا بها على أقرانه فلا أعاد الله الزمن الذي قيل فيه (ظل رجل ولا ظل حيطه)

فالرجل نفسه يعيش الآن في الظل وربما في الهامش بعد أن تنازل عن الكثير من أدواره التي كانت عنوانا للرجولة والنخوة..

لهذا فالسبب الرئيسي للارتباط به ربما لم يعد موجودا.

أما إذا كنت متعلمة ومنتجه وجميلة وناجحة ومستقلة أو خفيفة دم وذكيه أو فتاكة الأنوثة أو متحررة منطلقة فأنت حتما تدفعين ثمن هذه المواصفات التي يتمناها أي رجل إلى حد معاقبتك عليها !

فأنت نموذج للمرأة التي تخلب الألباب وتستفز الرجل لكونها غير نمطيه قد يعيش معها الرجل سعادة لا توصف لكونها الحلم المفقود ولكن الرجل الشرقي لا يملك عن القرار سوى الفرار لأنها نموذج يهدد ذكورته وسي السيد بداخله فاعذريه.

إنها شيزوفرانيا ثقافيه ليس إلا ..

ومرض الفصام لا يعالج إلا بتجاهل الوجه الآخر القبيح حتى يقتنع بعدم جدوى وجوده .

أيكون انفصام الشخصية العربية سببه صعوبة تقبل الرجل المساواة مع المرأة ؟

جاءت نسبة التصويت على هذا السؤال في برنامج حوار العرب على قناة العربية على النحو التالي :

٤٥% نعم

٥٥% لا

وهي نتيجة تكاد تكون متقاربة وذلك لأن المجتمع الشرقي قائم بنسبة ٧٠% على العادات الشرقية والتقاليد .

لكن ماذا عن ازدواجية المرأة العربية؟

وهل المرأة التي تنشد الحرية والمساواة هي من تطالب كذلك بالتمتع بحماية الرجل ورعايته ؟

هل هي أيضا ازدواجية نسائية ؟

ولماذا نبدو في حاضرنا وواقعنا الذي تغير عن ما مضى وكأننا في حالة خوف وانصياع تام للعادات والتقاليد خوفا من الحرية وتبعاتها ؟ فنقول ما لا نفعل .

هل نحن شعوب معقدة ؟

ازدواجيتنا هذه تتجاوز الحدود الاجتماعية إلى الازدواجية السياسية والاقتصادية فبتنا نعتبر أمريكا دولة ذات أطماع في ذات الوقت الذي طالبنا فيه منها تحرير الكويت كما نطالب بحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره في الوقت الذي يطالبنا فيه الأكراد والأمازيغ بالحق ذاته مثلا !

ازدواجية فكرية واضحة تترجم ثقافة يشترك فيها الرجل والمرأة كضحايا الخلط بين الديني والدنيوي أي الإرث الديني والحداثة والموروث طبعا ليس كله ايجابيا .

فالموروث السلبي هو عامل يعوق التقدم عندما يفسر الموروث الديني بطريقة سلبيه إضافة إلى القيود الاجتماعية كالعشائرية والطائفية.

ونحن من نضع أنفسنا ضمن خيار بين الحداثة أو العادات والتقاليد فيما يجب أن تكون لدينا القدرة على الانتقاء بدل الاختيار بينهما.

أعيدوا للكرش وجاهته

هل اعترف بانتمائي لقلة تؤيد ربما عنادا الرأي القائل بأن الكرش للرجل هيبة ووجاهة؟

لم لا ..

وهناك كروش تهز العروش نستطيع أن نرمقها بنظرة إعجاب وتقدير ، لكن هذا الكرش أصبح اليوم مهدد العرش وبعد أن كان العرب يحتلون المرتبة الأولى لأصحاب (الكروش) في العالم حتى كان أصاحبه يحصلون على (بدل كرش) في الجيش العثماني فكان الرجل الشرقي ذو الكرش يمشي كالبطريق بفخر واعتزاز ليشار إليه بالبنان أضحى الرجل أكثر إقبالا من المرأة على الرجيم لا كنظام صحي بل كوسيلة وحشية للفتك بكرشه المسكين !

لا يعجبني أن أرى بعض هؤلاء الرجال وقد ذابوا وذابت كروشهم معهم في سبيل الحصول على جسد ووزن مثالي..

نعم أحزن كثيرا لمظهر أحدهم بعد أن كان ممتلئ بالصحة منفوخ الأوداج ظريف لطف خفيف الدم وقد أصبح ذكرى كرش يجلس على عرش.

لا بأس..

نعلم أن للسمنة مخاطر لا حصر لها قد تبدأ بالسكري والكلسترول وضغط الدم إضافة إلى مشكلات حركية قد تعيق القيام بنشاطات كثيرة وربما الإعاقة والعجز في سنوات الشيخوخة..

يعني لا بد أن هذا الكرش" الرجراج" يمثل على المستوى الصحي مشكلة بل مشكلة من النوع الثقيل ..

لكن الوقاية خير من العلاج، أما العلاج فقد تكون القناعة أحد وصفاته فإذا ما حدث وتكور الكرش الصغير معلنا عصر العز والفخامة فتذكر عزيزي الرجل " إنو إلي بدو الدح ما بيقول أح "

أي أن لكل حلو ثمن يلسع والريجيم حلو وصحي لكنه يفقدنا ملامحنا الممتلئة الوافرة الصحة هذا إذا ما زاد عن حده المعقول الذي لا بد أن يراعي دخول صاحبه إلى بلاط السمنة وكثيرة هي الوجوه حاولت الخروج منه فهزلت حتى تهدلت وهو ما سبق أن حدث للفنان يحيى الفخراني حينما هزل كثيرا حتى أضحى كمن أصابه مرض أخذ معه تلك العافية وذلك الاحمرار الذي يعلو وجنتيه ويكلل ابتسامته .. هل أذكركم، لقد تراجع عن موقفه واسترد كرشه ربما نادما على ما فعل أو ربما لم يجد القبول الذي توقع.

استثني المرأة من هذه النظرية كون المرأة كأنثى ذات مواصفات بعيدة كل البعد عن الجسد التفاحة وعن روح الهيبة والوجاهة.

هل أتوقع أن هناك من يتفهم وجهة نظري ؟

قد يحدث إذا كانت الكروش على أشكالها تقع ..

فأغلب الظن أن كثير من الرجال سيجدون في وجهة نظري بعض العزاء ، ليس العزاء فقط بل التحرر من الشعور بالذنب إذا ما عرفوا أن اكتشافات طبية جديدة حول كرش الرجل تؤكد بأن الأسباب وراثية فلا الأكل ولا الشرب مسئولان عن نمو الكرش إنما هو جين محدد موجود عند ذوي الكروش .

لكن هذه الدراسة المثيرة التي نشرت في الصحيفة الطبية Annals of Internal Medicine أشارت إلى الرابط ما بين زيادة الوزن وانخفاض القدرات الذهنية بنسبة تصل إلى ٢٣% بالمائة وبغض النظر عن المستوى التعليمي والمدهش أن ذكاء المرأة لا يتأثر !

فالشحم في جسم الرجل يتركز حول البطن ليصبح كرشا بينما يتوزع فيجسم المرأة في عدة مناطق لذا لا نستبعد العلاقة الوثيقة ما بين ذكاء الرجل وحجم كرشه وهو ما يرجع إلى تأثير الشحم على الدورة الدموية في المخ.

إلا أن التخلص من الوزن الزائد عند البدينين قد يمنع المزيد من التدهور في القدرات الذهنية ولكنه لن يعيد القدرات التي فقدت!

رغم كل هذا يبقى الرجل محظوظا إلى حد كبير فلشريكته المرأة هموم جمالية تثقل كاهلها الناعم إذا ما تذكرنا أن سمنة المرأة في الماضي كانت دليل عافيتها وطريقها المباشر إلى العريس وأمه أما اليوم ومع انقلاب العادات وتغير الاحتياجات وتمايل الرشيقات على خشبة الموضة بات ينظر إلى وزن المرأة على أنه شذوذ عن القاعدة.

أما للرجل فبقي قاعدة ولها شذوذ ها..

إذن لا بأس بكرش صغير يتربى على العز لزوم (الوجاهة) إذا ما أصبح أمرا واقعا.

وإذا لم تأخذ برأي أيها القارئ (صاحب الكرش) فإما أن تمارس الرياضة والحمية الغذائية فتحصل على جسد رشيق وذكاء معقول..

أو أن تبقى على ما أنت عليه فتنعم بحسن الوجاهة وخفة الدم في نظري على الأقل.

مفاهيم شرف تثير القرف

"إلى الخلف سر" ..

هكذا حالنا، فكثيرا من القيم التي تبدو لنا صحيحة بل وأخلاقية إنما تسير بنا وكأنها ترفع شعار "إلى الخلف در"..

فقط لأننا اعتدنا على بعض الأفكار والممارسات التي تحولت إلى تقاليد تفوق في رسوخها القيم الدينية ذاتها.

ورغم عدم توافقها مع مفاهيم العدالة والأخلاق لكننا نصر على عدم الخروج عن المألوف والمتعارف بل ومجاراة المجتمع على حساب الحق والحقيقة.

لم علينا أن نسير تحت مظلة الفكرة السائدة؟

ولم لا ننقلب عليها حينما تكون ضد إنسانيتنا؟

منذ وقت ليس بالبعيد حدثتني صديقة عن دهشتها من عجز إعلامنا العربي عن التغيير رغم رسالته الهادفة فمسلسل "قضية رأي عام" مثلا الذي تناول موضوع الاغتصاب ومفاهيم الشرف في مجتمعاتنا العربية رغم جرأة موضوعه وأهمية القضية وإثارته للرأي العام لكنه لم يغير المواقف الفعلية على أرض الواقع !صديقتي توجهت إلى والدها بالسؤال عما إذا كانت

ستقاضي الفاعل إذا ما حدثت مثل هذه الجريمة لأحد أفراد أسرتها فأجابت "بلا" حتى لو كانت أحداث المسلسل قد أقنعتها بضرورة ال "بنعم" !

أيمكن أن تكون مجتمعاتنا سلبية ليس فقط بصدد مشاركتها في صناعة الحضارة بل نصر على التخلف عنها بأشواط ودون اكتراث.

نتفنن بتغليف القيم الموروثة بذاك الكم من القدسية حتى أصبحت راسخة في حاضرنا كما في ماضينا كالمومياء المحنطة في أهرامات مصر!

في الحقيقة أن مفهوم الشرف يثير القرف في عالمنا العربي ففي حين هو الصدق والامانه والنزاهة في كل حضارات العالم تنتشر في عالمنا جرائم كالسرقة والرشوة وخيانة الامانه والتجسس والخوض في أعراض الناس وهي في مفاهيمنا أصبحت مجرد أخطاء وجرائم وكأن لا علاقة لها بالشرف .

من هو الذي يوصم بأنه غير شريف مدى الحياة لأنه كذب أو سرق أو خان الامانه؟

أصبحت ثقافتنا ثقافة مصطلحات نصنفها لنقوم من خلالها بصناعة ثقافة خاصة لمجتمعاتنا..

فأوجدنا مصطلح (شرف البنت) ولا يوجد (شرف الولد)!!

وعندما نقول امرأة شريفة فنحن لا نعني أنها لا تكذب ولا تغش ولا تسرق وربما يستطيع أي شاب أن يتزوج من كاذبة وسارقة بلا تردد لكنه يتردد كثيرا إذا ما كانت تعرف رجلا قبله حتى لو كانت لديها كل الفضائل الأخرى !

في ثقافتنا الكثير من التناقضات الأخلاقية والمصطلحات التي تثير القرف لأنها شذت عن معناها الحقيقي وبعدت كل البعد عن العدالة الأخلاقية..

واحدة من ازدواجيتنا الأخلاقية أنا أعتدنا على القول عن بنات الهوى(بنات الليل) ..

فماذا عن هؤلاء الذين يشترون الجنس والهوى بالمال ؟

لماذا توجد (المومس) ولا صفة أو مصطلح مقابل للرجل؟

أليس الشرف ضد كل ما هو لا أخلاقي ولا إنساني؟

اعتدنا أن ندعو للمرأة بالستر "الله يستر عليها" وحين ندعو للرجل نرفع مستواه عن شبهة الفضيحة لنقول "الله يهديه " فهو الضال ليس إلا.. !

اعتدنا دعوة المرأة للاكتفاء بالرجل أيا كان فاخترعنا مصطلح جائر قائلين "ظل رجل ولا ظل حيطة" ؟

في المقابل ليس للمرأة ظل .. ظل نخلة مثلا أو ظل شجرة على الأقل !

لماذا نحرم المرأة بهذه البساطة من أن يكون لها شرف أو ظل!

اعتاد الآباء على بيع بناهم بالمهر الغالي تحت ستار عقد الزواج ، ينتهكون الشرف الحقيقي والأخلاق الحقه حين لا يتبعون الدين الذي يقول (إن أفضل الرجال أتقاهم) لا أغناهم؟

المهر هدية للمرأة وحق لها فتحول الحق إلى تجارة؟

لكنهم حتما شرفاء!

اعتدنا أن نقول "الحاجة لغير الله مذلة" حتى تسللت هذه المقولة إلى عقولنا بمفهومنا الثقافي الخاص الذي جعل الاعتراف بالحاجة إلى الغير تكريس للمذلة والهوان يتبعه الاعتراف بالجميل تلقائيا وهو ما بتنا لا نحبذه ؟

أصبحنا نسعى بلا وعي إلى نكران الجميل أو رفض الشكر والامتنان بل ونحاول أن نعد العشرة قبل أن نقوم بإسداء خدمة أو حاجة لشخص آخر خوفا من أن نقابل بذات الجحود والنكران ؟

أو لسنا بحاجة لبعضنا البعض لنتشارك الحياة حلوة ومره؟

ليست حاجتنا لغير الله دائما مذلة لان حاجة الإنسان لأخيه الإنسان هي جزء من حاجته لله، وشكر الإنسان لأخيه الإنسان ليس مذله بل دليل عافية وثقة بالنفس.

أوليس المجتمع الإنساني في تعريفه هو التقاء حاجات ؟

أليس "الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه "

علاقتنا بالله تحددها علاقتنا بالآخرين، فان قبلنا حاجتنا من أخينا الإنسان قبلناها من الله وان شكرناه عليها شكرنا الله.

هناك طرفة ذات مدلول فلسفي حميم أعجبتني جدا تقول بأن رجلا أشرف على الغرق فابتهل إلى الله متوسلا "أرجوك يا رب أن تنقذني" وجاءه صوت من السماء : لا تقلق يا بني سأنقذك.

فمر على الفور قارب نجاه والقي له بحبل لكن الغريق رفض أن يتعلق بالحبل مصرا أن الله سينقذه !

مات صاحبنا غرقا وانتقل إلى الله تعالى يوم الحساب فخاطب الرب معاتبا: يا رب وعدتني أن تنقذني ولم تفي بوعدك.

يا بني: أرسلت قارب نجاه ورفضت أن تمد يدك، هل تريدني أن أنزل بنفسي إليك !؟

نعم ..

اعتدنا على استخدام الواسطة التي حلت محل طلب المساعدة، فمن نمون عليه فقط نأمره ونطلب منه !

إلى أي مدى يا ترى نمارس على المستوى الاجتماعي العدالة والأخلاق والحكمة التي نتشدق بها ونتحلى بصفات الشرف الحقيقي؟

هل تقترحون نسبة ٥٠٪ مثلاً؟

أم أن حالنا يبدو أكثر بؤسا وتخلفا من هذه النسبة التعيسة ؟

بين مطرقة الزواج وسندان الطلاق

ما الذي يفسر ازدياد نسب المشاكل العائلية أو الطلاق فيما بعد؟

سواء كان الارتباط انطلاقا من الشغف وحسن الاختيار أو ارتباطا تقليديا لا مجال لعنصر الاختيار فيه؟

وهل يثبت مقرر (قانون الأسرة) الجديد جدواه قريبا في تقليل نسب الطلاق ؟

أم أننا نحتاج إلى مقررات أخرى إضافية ربما تندرج تحت بند المهارات الاجتماعية ؟

لا شك أن تدريس أول مقرر دراسي تطرحه جامعة قطر حول الأسرة تحت مسمى "قانون الأسرة" خطوة تستحق التقدير ،لكن هذا المقرر كما يوحي مسماه هو طرح يتناول قوانين الأسرة أي أحكامها المتعلقة بكل مرحلة من مراحل تجربة الارتباط والزواج بدأ من الخطبة وعقد القران إلى قضايا الطلاق والخلع وآثار هذه الانفصال من الناحية الاجتماعية والقانونية وأحكام الميراث وغيرها..

ثقافة قانونية من هذا النوع ضرورية لكنها لا تنقذ زواجـــا من الانهيار إنما تساعد الأطراف المتنازعة مستقبلا على الـــوعي الكامل بإجراءات هذا الارتباط والانفصال وحقوقهما المشتركة في ظل القانون والشرع.

لابد أن أسباب الطلاق كثيرة وربما لا حصر لهـــا ، وأتفـــه الأسباب قد تكون سببا يستدعي الانفصال في نظر الكـــثيرين وهي أسباب لم تكن في الماضي تؤدي إلى طلاق ، فهل كانت الأجيال السابقة أكثر وعيا ونضجا ومعرفة بقوانين الأسرة ؟

ولماذا بتنا نحتاج إلى تأهيل لم يتلقاه آبائنا ممن مروا بتجارب ربما أقسى وأمر وأكثر بؤسا ؟

هل كان من سبقونا أكثر نضجا في التعامل مـــع مؤســـسة الزواج أو ثمة تغيرات ومستجدات اجتماعيـــه باتـــت تـــدفع المتزوجون إلى هاوية الانفصال؟

ترى هل نواجه اليوم مشكلة جيل جديد أم عصر جديد ما زلنا نعيش فيه بثوب قديم وثقافة اجتماعيه لم تعد تناسب جسد هذا الزمن ؟

مؤكد أن المرأة اليوم ليست هي ذاتها زوجة الماضي.. لكن الرجل اليوم هو ذاته ذلك الزوج في زمن الآباء والأجداد!

ما زال الرجل يجتر تلك الصورة التقليدية للمرأة في عصر الحريم ، أو ذلك النمط الذي أطلت به النسوة في مسلسل (باب الحارة) كنموذج لا يزال الرجل يعتقد أنه الأصل فيما تحاول زوجة اليوم أن تكون شريكة كاملة بالمعنى الحقيقي ، وفي هذا الإطار من التنافر تدور معظم الأسباب المسببة للطلاق صغرت أم كبرت.

بل وتكون كافية جدا للوصول إلى نقطة اللاتفاهم واللارجعه في الحياة المشتركة!

لقد نادى الدكتور عبد الحميد الأنصاري المهتم بشؤون المرأة والأسرة بأن الحد من الطلاق يبدأ بتذليل العقبات الاجتماعية التي تحول دون الاختيار الناجح لزواج مستقر.

هذا صحيح ومطلوب..

لكن عملية اختيار الشريك المناسب تبدو كلعبة الحظ حين يشاركنا فيها النصيب بالمناصفة فنختار البطيخة وننتظر ما بجوفها من مفاجئات ما بعد الزواج، إذ واقعنا من يؤكد بأن الاختيار لا يكون موفقا بالضرورة لمجرد أن تذللت تلك العقبات أمام التقاء الجنسين في ظل الاختلاط أيا كان شكله وطبيعته التي تناسب وعادات المجتمع وتقاليده.

يواجه شبابنا معوقات كثيرة تبدأ فقط من هذه الحدود ولا تنتهي بها أبدا..

إنما قد تنتهي بعدم توفر مرجعيه ثقافية ومهارات اجتماعيه تساعد أصحاب العلاقة على تحديد أهدافهم وأولوياتهم ثم طبيعة شركائهم المرشحون للارتباط والاهم هو تلك الحدود التي تقف عندها تنازلات كل طرف لشريكه.

فبعد سلسلة طويلة من الدراسات أثبتت التجارب أن الجنسين يختلفان اختلافا تاما على خلاف ما كان متعارف عليه سابقا من أنه لا فرق بينهما سوى الفرق البيولوجي، وخرجت كتب كثيرة ومشهورة في الغرب ككتاب (الرجال من كوكب المريخ والنساء من كوكب الزهرة) لمؤلفه د.جون غراي كدليل للتواصل والاتصال بين جنسين متناقضين وهو من الكتب الأكثر مبيعا التي تركز على الاختلاف في التركيبة النفسية والفكرية لكل منهما مما يجعل التعامل فيما بينهما عملية تحتاج إلى خبرة كافيه ومعرفة بالفروق في اللغة والفكر والطبيعة إضافة إلى ما طرأ من تغيرات في المفاهيم الثقافية لديهم.

كيف لا والمرأة اليوم لم تعد تحتاج الزواج لتأكل وتسكن وتنتمي إلى ظل رجل بعدما أصبحت ذات أجر مستقل اشترت به إنسانيتها وحريتها فاختلفت الشروط وتغيرت قواعد اللعبة.

ظروف المرأة اليوم تغيرت لتمنحها مساحة أوسع لاختيار الطلاق كحل لمشاكلها الزوجية ومع ذلك فان الأغلبية الساحقة من النساء العربيات لازلن مذعورات من كلمة (طلاق) خوفا من الجوع والتشرد والسنة الناس.

هذا إضافة إلى ما نعانيه من فقر مدقع في المعارف التي تتعلق بطبيعة كل من الرجل والمرأة والاختلافات بينهما، فنحن نعتمد مناهج تعليمية وتربوية تخلو تقريبا من التربية الجنسية وتنمية المهارات الاجتماعية التي نكتسبها فيما بعد على حساب رصيدنا الزمني.

بينما نجد الأمر مغاير تماما في دول أخرى تتعاطى فيها مع واقع لحياة بطريقة مختلفة كما حدث مؤخرا في مركز كوريا للمعارض الدولية مثلا حيث أقيم معرضا لتعليم الجنس الأطفال تحت شعار (الجنس الجميل) يجذب أطفال المدارس ووالديهم ويتضمن الفروق بين الذكر والأنثى ومراحل المراهقة الخ.

فهل نصل يوما إلى هذه المرحلة وهل سنطلق عليها مرحلة قلة الأدب أم مرحلة من الرقي مثلا؟

أقول هذا لان الأمر يستحق العناء.

شهية الذاكرة

الواقع يقول أننا جميعا ننسي، وليس في النسيان أي شبهة جريمة علي الإطلاق، فهو فعل عفوي برئ يدخل في خانة السهو المبرر والمنطقي.. لكنني أعترف أني أواجه نوعا مختلفا ومرعبا من الخيانة، وحدسي الذي لا يخطئ ينبئني بجريمة مقصودة، فذاكرتي تتآمر علي.. نعم فهي تتناسي ما تشاء وتستحضر ما تشاء.. إنها تنتقي الأشخاص والأشياء والأحداث والتواريخ، وأقف عاجزة أحيانا عن الفهم والتفسير، فكيف أتذكر تفاصيل صغيرة حدثت منذ سنوات ولا أتذكر شيئا آخر أكثر أهمية حدث بالأمس، كيف أتذكر شحاذا مررت به للحظة ولا أتذكر زميلة دراسة أو تاريخ توظيفي مثلا؟ لماذا أتذكر لون ومناسبة فستان اشتريته ولا أتذكر كم دفعت ثمنا له؟

لماذا يبدو لي أن الأشخاص متشابهون والفصول والتواريخ متقاربة وكأن ساعة الزمن بلا عقارب.. أرهقتني ذاكرتي الغامضة المتناقضة والتي تبدو أكثر غموضا مني.. تري هل هو العقل يمارس ضدنا حربا خفية فيطلق فيروسات النسيان ليدمر ما شاء ويزيد من هزيمتنا في معركة الحياة.. هذا العقل المتواري خلف الوعي يبدو وكأنه يلبس قبعة خفية.. يبدو وكأنه يرانا ولا نراه.. يفهمنا ولا نفهمه..

ولأنني أؤمن بنظرية أفهم عدوك لكي تتمكن منه.. فقد جلست مع ذاكرتي أرقبها.. قرأت رواية شيقة وعندما انتهيت منها أغلقت الكتاب لأمتحن ذاكرتي في محاولة لأن أكون أكثر خبثا منها، فلم أتذكر أسماء الأشخاص أو الأماكن والمدن.. تذكرت فقط تلك المواقف والأحداث التي مستني من الداخل.. تذكرت بعض الكلمات والجمل ذات المعني الفلسفي العميق والتي لمعت في ذهني وأثارت اهتمامي، فأدركت أن الذاكرة إنما تمثل شهيتنا للحياة وذوقنا وميلنا للأفكار والأشياء.. هي تماما كمن يقبل علي الصنف الذي يفضله من الطعام ويتجاهل الباقي.. من يتذكر كل التفاصيل إنما لديه شراهة في الإقبال علي الحياة، ومن لا يتذكر إلا القليل يمارس فضيلة الانتقاء لما تزخر به الحياة.. علي أية حال استثمرت هلوستي هذه لأخرج بنظرية خطيرة.. إذ أصبح بإمكاننا الاعتراف بأننا نتذكر ما نحب ونريد.. تماما كما نأكل ما نحب ونشتهي..

في النهاية لا أنصحكم بالتورط والاعتقاد في نظرية (شهية الذاكرة) هذه.. إذ لن يصبح بوسعكم اختلاق الأعذار إذا ما نسيتم أعياد ميلاد الحبيبة أو ذكري زواج سعيد.. لأن هذا سيعني بالضرورة أنكم لم تشتهوا أو ترغبوا هذه الأمور فلفظتها الذاكرة.

علي العموم بقليل من الدبلوماسية والذكاء يمكننا أن نردد (جل من لا يسهو) فنخرج من هذه الورطة سالمين .

قلوبنا الحمقاء

هذا هو حال الإنسان وهو يبدو في طباعه المزاجية الغريبة وكأنه مسير لا مخير..

هذا ما أكدته دراسة أمريكية طريفة عن موضوع الحب عندما يتحول إلي إدمان وهو ما يفسر بقاء الأزواج معا لمدة طويلة قد تستمر إلي نهاية العمر ..

فالشعور بالراحة والاسترخاء التي يشعر بها الأزواج وتبقيهم مرتبطين هي مسؤولية تلك المادة التي تفرزها الغدد في مقدمة الرأس وهي نفس الغدد المسئولة عن الإدمان علي المخدرات أو الجنس أو الطعام.

الوقوع في الحب يزيد من إفراز هذه المادة، في مقابل دراسة أخري يحدد فيها الباحث لأمريكي وليام ربسون العمر الافتراضي للحب بثلاث سنوات بعدها يصبح نور الحب خافتا اعتمادا علي كيمياء المخ المسيطرة علي عملية الحب التي تظل تولد شحنات حب وطاقة ثم تتوقف تلك الشحنات وكأنها بطارية فرغت ولا يمكن إعادة شحنها مرة أخري.

وسواء سلمنا بالنظرية الأولي أو الثانية.. وسواء كانت تلك الغدد هي المسئولة أو

كيمياء المخ فان عمر الحب طال أو قصر لا يبدو أمره في أيدينا كما لا يبدو الإنسان

مخيرا سوي في إيجاد المبررات المقنعة والحيل النفسية التي تخرجه من هذه الورطة مرتاح الضمير فيستقبل خيبة أمله في الحب ويبدأ من جديد.

مرغمين نحن علي قبول هذه الحقائق العلمية ربما علي مضض، فما أقبح اختياراتنا العاطفية ومواقفنا الإنسانية حين تعود بأفضالها إلي أصول كيمائية وهرمونية في أجسادنا وما أبشع أن يفقد الحب غموضه حين تتنافي أحكام القلب مع النظام العقلي...

تماما لأسباب بيولوجية واضحة وربما بسيطة ليس إلا.

قديما قال أرسطو " أن الحب الذي ينتهي ليس حبا حقيقيا" لكنه لم يعاصر أيامنا هذه التي أصبح فيها للحب عمر افتراضي بعيدا عن الفلسفة وبأمر العلم..

حياتنا نحن البشر سلسلة من الألغاز التي لا تنتهي فكأنه كتب علي هذا الإنسان ألا يصل إلي يقين أبدا وألا يبلغ ذروة الأشياء والنهايات لتبقي الحياة رحلة غامضة تتوارثها الأجيال بكل ما فيها من خبايا وأسرار وآمال وخيبات .

ويحتفظ هذا الكون بتوازن فريد إذ مقابل كل شيء هناك النقيض أو الضد.. حتى إذا لم يجد ما ينقلب عليه انقلب على ذاته ومل من شغفه .

وإلا بماذا نفسر عمرنا القصير ليس في الحب فقط إنما في كل شيء فلا يبقينا عالقين سوي إدماننا القسري ، أو يبقي خيارنا الآخر بالقفز من بحر إلي بحر بحثا عن الأعمق ولأبقي والأطول عمرا....

اسألوا غددكم في مقدمة رؤوسكم .. تفحصوها، ففيها اليوم كل أسرارنا البشرية علي ما يبدو ..

وهل أقول الله أعلم ....

نعم هو الله أعلم.

ريجيم القبلات

ليست القبلة شأنا عاطفيا أو أنثويا بامتياز رغم أن المرأة لا تغفر للرجل إحجامه عن قبلة لم يجرؤ علي أخذها.. إلا أن شبهتها العاطفية لم تحل دون أن تكون مظهرا من مظاهر الثقافة فتستطيع أن تتعرف إلي ثقافة أي شعب من خلال تعاطيه مع هذه التحية المشبوهة.

وربما هناك علاقة وثيقة بين الحضارة والقبلة إذا ما عرفنا أن الشعب الياباني من أقل الشعوب في ممارسة رياضة (القبل) في حين أن الشعوب العربية من أكثر الشعوب سخاء فيما يتعلق بالتقبيل والعناق لغرض التحية أو للتعبير عن الاحترام والتقدير والتبجيل والحنان والخضوع والولاء حسب موضعها ومناسبتها.

ربما لهذا تحولت القبلة كفن إلي لغة حيث يقال أن التقبيل حيلة محكمة لوقف الكلام حين يصير الكلام لغوا وفضولا ...

يقول احد شعراء الإغريق :

"هل عشت القبلة والقصيدة..

فالموت إذن

لن يأخذ منك شيئا"

تري ما العلاقة الغامضة ما بين القصيدة والقبلة ؟

هل لان جمال كل منها في غوايتها الصعبة أو إرضائها المستحيل؟

ربما..

علي أية حال فان عصرنا اليوم هو عصر الدراسات والأبحاث العلمية التي ما تركت شأنا خاصا أو عاما إلا وغزته

فللقبلة تفسير علمي وفوائد صحية..

وهي كالحرباء تماما تتلون حسب الظرف والهدف، هذا ما يؤكده علماء اليوم من خلال دراسة أمريكية حديثة فالقبلة تختلف فيما بين الرجل والمرأة حيث يلجأ الرجل إلي التقبيل كمدخل للمتعة فيما المرأة تفعل ذلك لمعرفة إذا كان سيصبح شريكا محتملا لها!

وبحسب الدراسة التي نشرت في صحيفة القدس فان الرجل لا يميز كثيرا بين النساء عندما يتعلق الأمر بتقبيلهن وهو علي استعداد لان يفعل حتى لو لم تكن ترق له!

هل يبدو الجهل بالشيء أفضل من العلم به أحيانا ؟

نعم

ولكنْ عزاؤنا أن للقبلة فوائد صحية وان لم تكن دليلا كافيا علي الحب..

فوجدها القبلة كافية لحرق ١٢ سعرا حراريا في كل قبلة وينخفض مستوي السكر في الدم والدهون والمواد الضارة مما يساعد علي الرشاقة، وحتما هي طريقة حضارية وغير مكلفة للحمية أو الريجيم ، اقترح تسميته (ريجيم القبلات) .

ليس هذا فحسب فقد كشف الباحثون في الأكاديمية الأمريكية لطب الأسنان عن أن القبلة تساعد في حماية الأسنان من التجاويف والتسوس.

ومن الطب إلي علم النفس فان القبلة ليست دائما مقدمة لعلاقة بين الأزواج فهي أفضل وسيلة للاعتذار والتعبير عن مشاعر الإعجاب والشكر وقبلة في الصباح تطلق إفرازات معينه ومركبات كيميائية، من خصائصها إعطاء الشخص الإحساس بالراحة والاسترخاء علي عكس الأوهام الشعبية السائدة والتي لا تعترف إلا بما خبرته في الحياة فان تبادل رجل واقف القبلات مع امرأة جالسة لهو دليل علي أنهما سيتشاجران مستقبلا!

ربما نسوا أن الناس علي شجار دائم أكثر مما هم علي تقبيل فتنبئوا بما هو أمر محتوم.

لكن حتما ليست كل القبلات هدية محبة وسلام فالقبلة السامة أيضا يمكن أن تكون وسيلة مبتكره للعقاب والانتقام وهو ما أقدمت عليه امرأة صينية حين عاقبت حبيبها بقبلة سامة لشكها في خيانته حيث تمكنت في أثناء تبادل قبلة حارة من تمرير كبسولة مليئة بسم الفئران عبر فمها لتستقر داخل فم العشيق الذي سرعان ما ابتلعها ليلقي حتفه علي الفور .طبعا المرأة بررت حينذاك ارتكابها لجريمتها المبتكرة تنفيذا لاتفاق سابق بينهما يفيد بأن الموت سيكون جزاء الطرف الخائن..

فهل تختفي الخيانة من قاموس حياتنا إذا ما تم إنتاج وبيع مثل هذه الكبسولات أم أن القبلة هي التي ستختفي؟

أراهن علي الثانية.

الفهرس

سيرة ذاتية

حنان بديع يوسف

لبنانية الجنسية

بكالوريوس آداب علوم اجتماعية وخدمة اجتماعية-جامعة قطر

نشرت قصائدها في العديد من الصحف والمجلات المحلية في قطروالخليج.

لها عامود أسبوعي في جريدة الراية القطرية وآخر في جريدة الشبيبة العمانية، بالإضافة إلى زاوية شهرية في مجلة اللسان الحر التي تصدر عن معهد اللسان في باريس.

ابنة الشاعر الراحل بديع يوسف صاحب ديوان (من البداية قصتي)

أصدرت ديوان (امرأة المتناقضات) ١٩٩٩م

ديوان (رجل لكل الاحتمالات)٢٠٠٠م

ديوان (قبل أن .....) ٢٠٠٢م

ديوان (خطيئة عذراء) ٢٠٠٣

ديوان (ألف ليلة وقصيدة) ٢٠٠٥

ديوان (قصيدة شيطانية) ٢٠٠٧م

شاركت في العديد من المهرجانات والأمسيات الـــشعرية التي أقيمت في قطر

ديوان صوتي بعنوان خيانة "٢٠٠٦

إنتاج وتوزيع شركة الوادي للصوتيات والمرئيات- الإمارات العربية المتحدة

www.hananbadih.com
youhanan@hotmail.com